

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير
٧٠٠ - ٧٧٤ هـ

تحقيق وتعليق
فضيلة الأستاذ عبد الرحمن حسن محمود

ملتزم الطبع والنشر
آداب ومطبعتها بالجماميز - ت ٩١٩٣٧٧
٤ ميدان الأوبرا - ت ٨٦٨ ٩٢
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشاوري بالحلمية الجديدة

المسيح عيسى بن مريم

عبد الله ورسوله وابن أمته
عليه من الله أفضل الصلاة والسلام

للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير
٧٠٠ - ٧٧٤ هـ

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز - ت ٩١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا - ت ٩٢٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة عيسى ابن مريم (*)

عبد الله ورسوله وابن أمته

عليه من الله أفضل الصلاة والسلام

قال الله تعالى فى سورة آل عمران التى أنزل صدرها وهو

(*) عيسى : هو يشوع بالعبرية أو يسوع أو يسوس باليونانية بمعنى المخلص ، والمسيح لقبه وصفته أو الماشيح بالعبرية أى الممسوح بالزيت المقدس بمعنى السيد الملك .

وهو فى القرآن الكريم « عيسى ابن مريم » ، وفى إنجيل متى هو « يسوع ابن يوسف النجار بن يعقوب » وفى إنجيل لوقا هو « يسوع ابن يوسف النجار ابن هابى » . (القاموس الإسلامى) .

ثلاث وثمانون آية منها فى الرد على النصارى(١) عليهم لعائن الله ، الذين زعموا أن لله ولدا ، تعالى عما يقولون علوا كبيرا .

وكان قد قدم وفد نجران منهم على رسول الله ﷺ فجعلوا يذكرون ما هم عليه من الباطل من التثليث فى الأقانيم(٢) ويدّعون بزعمهم أن الله ثالث ثلاثة وهم : الذات المقدسة وعيسى ومريم ، على اختلاف فرقهم . فأنزل الله عز وجل صدر هذه السورة بين فيها أن عيسى عبد من عباد الله خلقه وصوره فى الرحم كما صور غيره من المخلوقات ، وأنه خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم ، وقال له « كن فكان » سبحانه وتعالى . وبين أصل ميلاد أمه مريم ، وكيف كان من أمرها ، وكيف حملت ولدها عيسى ، وكذلك بسط ذلك فى سورة مريم كما سنتكلم على ذلك كله بعون الله وحسن توفيقه وهدايته .

فقال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض ، والله

---

(١) النصارى : نسبة إلى قرية بالشام تسمى نصران أو ناصرة أو ناصورية ، والتنصر : الدخول فى النصرانية . وقول ابن كثير « عليهم لعائن الله » مقصور فى نفس الجملة على « الذين زعموا أن لله ولدا » .
ولعن أهل الكتاب من نصارى ويهود أمر غير شائع فى السنة وكتابات علماء المسلمين ، والغالب هو « مجادلتهم بالتى هى أحسن » (الناشر) .

(٢) الأقانيم : الاصول ، جمع أقنوم .

سميع عليم . إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً(١) فتقبل منى ، إنك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى، وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً ، قال يا مريم أنّى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾(٢) .

يذكر تعالى أنه اصطفى آدم عليه السّلام والخلّص من ذريته المتبعين شرعه ، الملازمين طاعته ، ثم خصص فقال : ﴿ وآل إبراهيم ﴾ فدخل فيهم بنو إسماعيل ، ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب. وهم آل عمران ، والمراد بعمران هذا: والد مريم عليها السلام .

وقال محمد بن إسحاق : وهو عمران، بن باشم بن أمون، بن ميشا بن حزقيا، بن أحريق، بن موثم بن عزازيا،، بن أمصيا، بن ياوش بن أحريهو، بن يازم، بن يهفاشاط، بن إيشا، بن إيان بن رحبعام، بن داود .

---

(١) محرراً : خالصاً .   (٢) آل عمران : ٣٣ - ٣٧

وقال أبو القاسم ابن عساكر: مريم بنت عمران، بن ماثان، ابن العازر، بن اليود، بن أخنز، بن صادوق، بن عيازوز، بن الياقيم ابن أبيود، بن زريابيل، بن شالتال بن يوحينا، بن برشا، بن أمون ابن ميشا، بن حزقيا، بن أحاز، بن موثام، بن عزريا، بن يورام بن يوشافاط بن إيشا بن إيبا، بن رحبعام بن سليمان، بن داود عليه السلام. وفيه مخالفة لما ذكره محمد بن إسحاق.

ولا خلاف أنها من سلالة داوود عليه السلام، وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وكانت أمها وهي حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات، وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم «أشياع» في قول الجمهور، وقيل زوج خالتها «أشياع».. فالله أعلم.

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغيره: أن أم مريم كانت لا تحبل فرأت يوماً طائراً يزق(١) فرخا له فاشتهت الولد، فنذرت لله إن حملت لتجعلن ولدها محررا، أي: حبيسا في بيت المقدس.

قالوا: فحاضت من فورها، فلما طهرت واقعها بعلها، فحملت بمريم عليها السلام ﴿ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعتْ ﴾ وقرىء بضم التاء ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ أي في خدمة بيت المقدس، وكانوا في ذلك الزمان

---

(١) يزق: يطعم

ينذرون لبيت المقدس خداماً من أولادهم .

وقولها : ﴿ وإنى سميتها مريم ﴾ استدل بها على تسمية المولود يوم يولد ، وكما ثبت فى الصحيحين عن أنس فى ذهابه بأخيه إلى رسول الله ﷺ فحنكه(١) أخاه وسماه عبد الله .

وجاء فى حديث الحسن ، عن سمرة مرفوعاً : « كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى ويحلق رأسه » .

رواه أحمد وأهل السنن ، وصححه الترمذى .

وجاء فى بعض ألفاظه : « ويدمى » بدل « ويسمى » ، وصححه بعضهم ... والله أعلم .

وقولها : ﴿ وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ قد استجيب لها فى هذا ، كما تقبل منها نذرها ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهرى ، عن ابن المسيب ، عن أبى هريرة ، أن النبى ﷺ قال : « ما من مولود إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وابنها » ، ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم : ﴿ وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ .

أخرجاه من حديث عبد الرزاق ، ورواه ابن جرير عن

---

(١) حنكت الصبى تحنيكا : مضغت تمراً ونحوه ودلكت به حنكه .

أحمد بن الفرج عن بقية ، عن عبد الله بن الزبيدى ، عن الزهرى عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبى ذؤيب ، عن عجلان مولى المشمعل ، عن النبى ﷺ قال : «كل مولود من بنى آدم يمسه الشيطان بأصبعه إلا مريم بنت عمران وابنها عيسى ، عليهما السلام .

تفرد به من هذا الوجه . ورواه مسلم عن أبى الطاهر ، عن ابن وهب ، عن عمر بن الحارث ، عن أبى يونس ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ بنحوه .

وقال أحمد : حدثنا هشيم ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن العلاء عن أبيه ، عن أبى هريرة ، أن النبى ﷺ قال : «كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان فى حضنيه(١) إلا ما كان من مريم وابنها ، ألم تر إلى الصبى حين يسقط كيف يصرخ» ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال «ذلك حين يلكزه الشيطان بحضنيه» .

وهذا على شرط مسلم ، ولم يخرجه من هذا الوجه ، ورواه قيس عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال :

---

(١) الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح ، أى جنبيه .

قال رسول الله ﷺ : « ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة - أو عصرتين - إلا عيسى بن مريم ومريم » ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ .

وكذا رواه محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبيدالله بن قسيط، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ . بأصل الحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الملك ، حدثنا المغيرة [هو ابن عبد الرحمن الخزامى] ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبه حين يولد ، إلا عيسى ابن مريم ، ذهب يطعن فطعن فى الحجاب » .

وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقوله : ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا ﴾ ذكر كثير من المفسرين أن أمها حين وضعتها لفتها فى خروقها ثم خرجت بها إلى المسجد ، فسلمتها إلى العبّاد الذين هم مقيمون به ، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم ، فتنازعوا فيها ، والظاهر أنها إنما سلمتهـــا إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها فى صغرها .

ثم لما دفعتها إليهم تنازعوا فى أيهم يكفلها ، وكان زكريا نبيهم فى ذلك الزمان ، وقد أراد أن يستبد بها دونهم من أجل زوجته [أختها أو خالتها على القولين] فشاحوه(١) فى ذلك وطلبوا أن يقترع معهم ، فساعدته المقادير ، فخرجت قرعته غالبة لهم، وذلك أن الخالة بمنزلة الأم .

قال الله تعالى : ﴿ وكفلها زكريا ﴾ أى بسبب غلبه لهم فى القرعة، كما قال تعالى : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾(٢) . قالوا : وذلك أن كلا منهم ألقى قلمه معروفاً به . ثم حملوها ووضعوها فى موضع، وأمروا غلاماً لم يبلغ الحنث(٣)، فأخرج واحداً منها، وظهر قلم زكريا عليه السلام. فطلبوا أن يقترعوا مرة ثانية وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم فى النهر. فأيهم جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب . ففعلوا ، فكان قلم زكريا هو الذى جرى على خلاف جرية الماء ، وسارت أقلامهم مع الماء ، ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثة فأيهم جرى قلمه مع الماء - ويكون بقية الأقلام

(١) شاحوه : نازعوه .
(٢) آل عمران : ٤٤ .
(٣) الحنث : الذنب .

قد انعكس سيرها صعداً ، فهو الغالب ، ففعلوا ، فكان زكريا هو الغالب لهم ، فكفلها إذ كان أحق بها شرعا وقدراً ، لوجوه عديدة .

قال الله تعالى : ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾(1) قال المفسرون : اتخذ لها زكريا مكاناً شريفا من المسجد ، لا يدخله سواها ، فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها ، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها . حتى صارت يضرب بها المثل بعبادتها فى بنى إسرائيل ، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة والصفات الشريفة ، حتى إنه كان نبى الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقا غريبا فى غير أوانه . فكان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف ، فيسألها ﴿ أنى لك هذا ﴾ فتقول : ﴿ هو من عند الله ﴾ أى رزق رزقنيه الله ﴿ إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

---

(1) آل عمران : ٣٧ .

فعند ذلك ، و«هنالك» طمع زكريا فى وجود ولد من صلبه وإن كان قد أسن وكبر ﴿ قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ، إنك سميع الدعا. ﴾(١) . قال بعضهم : قال : «يا من يرزق مريم الثمر فى غير أوانه، هب لى ولداً وإن كان فى غير أوانه » . فكان من خبره وقضيته ما قدمنا ذكره فى قصته .

* * *

قال الله تعالى :

﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم أقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين . ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون . إذ قالت الملائكة يا مريم، إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . ورسولا إلى بنى إسرائيل

---

(١) آل عمران ٣٨ .

أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾(١) .

يذكر الله تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء عالمى زمانها ، بأن اختارها لإيجاد ولد منها من غير أب ، وبشرت بأن يكون نبياً شريفاً ﴿ يكلم الناس فى المهد ﴾ أى فى صغره يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وكذلك فى حال كهوليته ، فدل على أنه يبلغ الكهولة ويدعو إلى الله فيها ، وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون أهلا لهذه الكرامة ، ولتقوم بشكر هذه النعمة ، فيقال : إنها كانت تقوم فى الصلاة حتى تفطرت قدماها رضى الله عنها ورحمها ورحم أمها وأباها .

فقول الملائكة : ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك ﴾ أى اختارك

---

(١) آل عمران : ٤٢ — ٥١ .

واجتباك ﴿وطهرك﴾ أى من الأخلاق الرذيلة وأعطاك الصفات الجميلة ﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾. يحتمل أن يكون المراد عالمي زمانها، كقوله لموسى ﴿إنى اصطفيتك على الناس﴾ (١) وكقوله عن بنى إسرائيل : ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾(٢) ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام أفضل من موسى ، وأن محمداً ﷺ أفضل منهما، وكذلك هذه الأمة أفضل من سائر الأمم قبلها، وأكثر عدداً، وأفضل علما وأزكى عملا من بنى إسرائيل وغيرهم.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾ محفوظ العموم فتكون أفضل نساء الدنيا، ممن كان قبلها أو وجد بعدها، لأنها إن كانت نبية [على قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة أم إسحاق ونبوة أم موسى، محتجاً بكلام الملائكة والوحى إلى أم موسى، كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره](٣) ، فلا يمتنع على هذا أن تكون مريم أفضل من سارة وأم موسى لعموم قوله : ﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ إذا لم يعارضه غيره . . والله أعلم .

---

(١) الأعراف : ١٤٤ (٢) الدخان : ٣٢

(٣) وهو رأى خاطىء بيّن الخطأ، وذلك لأن النساء يعتريهن الحيض والنفاس ، وطبيعة تكوينهن الجسمانى والنفسى لا تؤهلهن لتلقى الوحى الإلهى وما أوحى إلى أم موسى وغيرها : عن طريق الإلهام ، وكما قال عز للنحل « وإذ أوحى ربك إلى النحل » .

وأما قول الجمهور — كما قد حكاه أبو الحسن الأشعرى وغيره عن أهل السنة والجماعة — من أن النبوة مختصة بالرجال ، وليس فى النساء نبية ، فيكون أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدِّيقة ﴾(١) فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات ، ممن كان قبلها وممن يكون بعدها .. والله أعلم .. وقد جاء ذكرها مقروناً مع آسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ رضى الله عنهن وأرضاهن.

وقد روى الإمام أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عديدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « حسبك من نساء العالمين بأربع : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة

(١) المائدة : ٧٥

فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد » .

ورواه الترمذي عن أبي بكر بن زنجويه ، عن عبد الرزاق به وصححه ، ورواه ابن مردويه من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، وابن عساكر من طريق تميم بن زياد ، كلاهما عن أبي جعفر الرازي ، عن ثابت ، عن أنس، قال : قال رسول الله ﷺ : خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد رسول الله » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، قال : كان أبو هريرة يحدث أن النبي ﷺ قال: « خير نساء ركبن الإبل: صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه لزوج في ذات يده » .

قال أبو هريرة : ولم تركب مريم بعيراً قط .

وقد رواه مسلم في صحيحه، عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به .

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب، حدثني موسى بن علي سمعت أبي يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « خير نساء ركبن الإبل نساء قريش ، أحناه على ولد في صغر

وأرأفه بزوج على قلة ذات يده، قال أبو هريرة : وقد علم رسول الله ﷺ أن ابنة عمران لم تركب الإبل. تفرد به وهو على شرط الصحيح .

ولهذا الحديث طرق أخر عن أبي هريرة .

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا يونس بن محمد، حدثنا داوود ابن أبي الفرات، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال : خط رسول الله ﷺ في الأرض أربع خطوط فقال : « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» رواه النسائي من طرق عن داوود بن أبي هند .

وقد رواه ابن عساكر من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي داوود سليمان بن الأشعث، حدثنا يحيى بن حاتم العسكري، أنبانا بشر بن مهران بن حمدان، حدثنا محمد بن دينار، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، قال : قال رسول الله ﷺ : « حسبك منهن أربع سيدات نساء العالمين : فاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت

مزاحم ، ومريم بنت عمران » .

وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا وهب بن بقية ، حدثنا خالد بن عبد الله الواسطى ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن عائشة ، أنها قالت لفاطمة : أرأيت حين أكببت على رسول الله ﷺ فبكيت ثم ضحكت ؟ قالت : أخبرنى أنه ميت من وجعه هذا فبكيت ، ثم أكببت عليه فأخبرنى أنى أسرع أهله لحوقا به وأنى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران • فضحكت .

وأصل هذا الحديث فى الصحيح . وهذا إسناد على شرط مسلم وفيه أنهما أفضل الأربع المذكورات .

وهكذا الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا عثمان ابن محمد ، حدثنا جرير ، عن يزيد - هو ابن أبى زياد - عن عبدالرحمن ابن أبى نعم ، عن أبى سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران » إسناد حسن وصححه الترمذى ولم يخرجوه ، وقد روى نحوه من حديث على بن أبى طالب ولكن فى إسناده ضعف .

والمقصود أن هذا يدل على أن مريم وفاطمة أفضل هذه الأربع ، ثم يحتمل الاستثناء أن تكون مريم أفضل من فاطمة

ويحتمل أن يكونا على السواء فى الفضيلة .

لكن ورد حديث إن صح عين الاحتمال الأول فقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : أنبأنا أبو الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنا ، قالوا : أنبأنا أبو جعفر بن المسلمة ، أنبأنا أبو طاهر المخلص ، حدثنا أحمد بن سليمان ، حدثنا الزبير هو ابن بكار ، حدثنا محمد بن الحسن ، عن عبد العزيز بن محمد ، عن موسى بن عقبة ، عن كريب ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون »

فإن كان هذا اللفظ محفوظا بثم التى للترتيب فهو مبين لأحد الاحتمالين اللذين دل عليهما الاستثناء ، وتقدم على ما تقدم من الألفاظ التى وردت بواو العطف التى لا تقتضى الترتيب ولا تنفيه . . والله أعلم .

وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازى عن داوود الجعفرى ، عن عبد العزيز بن محمد وهو الدراوردى ، عن ابراهيم بن عقبة ، عن كريب ، عن ابن عباس مرفوعا ، فذكره بواو العطف لا بثم الترتيبية ، فخالفه إسناداً ومتناً .. فالله أعلم .

فأما الحديث الذى رواه ابن مردويه عن حديث شعبة، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث : مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، وهكذا الحديث الذى رواه الجماعة إلا أبا داود من طرق ، عن شعبة عن عمرو بن مرة ، عن مرة الهمدانى ، عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .

فإنه حديث صحيح كما ترى ، اتفق الشيخان على إخراجه ، ولفظه يقتضى حصر الكمال فى النساء فى مريم وآسية ، ولعل المراد بذلك فى زمانهما فإن كلا منهما كفلت نبيا فى حال صغره فآسية كفلت موسى الكليم ، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله ، فلا ينفى كمال غيرهما فى هذه الأمة كخديجة وفاطمة .

فخديجة خدمت رسول الله ﷺ قبل البعثة خمسة عشر سنة وبعدها أزيد من عشر سنين ، وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها ، رضى الله عنها وأرضاها .

وأما فاطمة بنت رسول الله ﷺ فإنها خصت بمزيد فضيلة على أخواتها لأنها أصيبت برسول الله ﷺ، وبقية أخواتها متن في حياة النبي ﷺ .

وأما عائشة فإنها كانت أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه ولم يتزوج بكراً غيرها، ولا يعرف في سائر النساء في هذه الأمة — بل ولا في غيرها — أعلم منها ولا أفهم ، وقد غار الله لها حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فأنزل الله براءتها من فوق سبع سموات ، وقد عمرت بعد رسول الله ﷺ قريباً من خمسين سنة تبلغ عنه القرآن والسنة وتفتى المسلمين وتصلح بين المختلفين وهى أشرف أمهات المؤمنين حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين فى قول طائفة من العلماء السابقين واللاحقين ، والأحسن الوقف فيهما رضى الله عنهما . وما ذاك إلا لأن قوله ﷺ : « وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » يحتمل أن يكون عاماً بالنسبة إلى المذكورات وغيرهن ويحتمل أن يكون عاما بالنسبة إلى ما عدا المذكورات . . والله أعلم .

والمقصود ها هنا ذكر ما يتعلق بمريم بنت عمران عليها السلام ، فإن الله طهرها واصطفاها على نساء عالمى زمانها ، ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقاً كما قدمنا . وقد ورد فى حديث أنها تكون من أزواج النبى ﷺ فى الجنة هى وآسية بنت مزاحم. وقد ذكرنا فى التفسير عن بعض السلف أنه قال ذلك واستأنس بقوله : ﴿ ثيبات وأبكاراً ﴾(١) قال : فالثيب آسية ومن الأبكار مريم بنت عمران . وقد ذكرناه فى آخر سورة التحريم . . فالله أعلم .

قال الطبرانى : حدثنا عبد الله بن ناجية ، حدثنا محمد ابن سعد العوفى ، حدثنا أبى ، أنبأنا عمى الحسين ، حدثنا يونس ابن نفيع ، عن سعيد بن جنادة ، هو العوفى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى » .

رواه ابن جعفر العقيلى من حديث عبد النور به وزاد فقلت : هنيئا لك يا رسول الله. ثم قال العقيلى : وليس بمحفوظ.

---

(١) التحريم : ٥ .

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الحسن ، عن يعلى بن المغيرة عن أبي داود ، قال : دخل رسول الله ﷺ على خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها : بالكره مني ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيرا، أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون ؟ » قالت : وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله ؟ قال « نعم » قالت : بالرفاء والبنين .

وروى ابن عساكر من حديث محمد بن زكريا الغلاني ، حدثنا العباس بن بكار ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ دخل على خديجة وهي في مرض الموت فقال : « يا خديجة . . إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام » قالت : يا رسول الله . . وهل تزوجت قبلي ؟ قال : « لا ، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى » .

وروى ابن عساكر من طريق سويد بن سعيد ، حدثنا محمد ابن صالح بن عمر ، عن الضحاك ومجاهد ، عن ابن عمر ، قال : نزل جبريل إلى رسول الله ﷺ بما أرسل به وجلس يحدث رسول الله ﷺ، إذ مرت خديجة ، فقال جبريل : من هـــذه

يا محمد ؟ قال : هذه صدِّيقة أمتى . قال جبريل: معى إليها رسالة من الرب عز وجل: يقرئها السلام ويبشرها ببيت فى الجنة من قصب بعيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب . قالت : الله السلام ومنه السلام والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته على رسول الله ، ما ذلك البيت الذى من قصب ؟ قال : لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم ، وهما من أزواجى يوم القيامة » .

وأصل السلام على خديجة من الله وبشارتها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا وصب فى الصحيح ، ولكن هذا السياق بهذه الزيادات غريب جدا . وكل من هذه الأحاديث فى أسانيدها نظر .

وروى ابن عساكر من حديث أبى زرعة الدمشقى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى معاوية ، عن صفوان بن عمرو ، عن خالد بن معدان عن كعب الأحبار أن معاوية سأله عن الصخرة — يعنى صخرة بيت المقدس — فقال : الصخرة على نخلة ، والنخلة على نهر من أنهار الجنة ، وتحت النخلة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط(١) أهل الجنة حتى تقوم الساعة.

---

(١) السموط : جمع سمط وهو الخيط ما دام فيه الخرز وهو نسيج لباس أهل الجنة والله أعلم .

ثم رواه عن طريق إسماعيل ، عن عياش ، عن ثعلبة بن مسلم ، عن مسعود ، عن عبد الرحمن ، عن خالد بن عمدان ، عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ بمثله .

وهذا منكر من هذا الوجه بل هو موضوع .

وقد رواه أبو زرعة عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية عن مسعود بن عبد الرحمن ، عن ابن عابد ، أن معاوية سأل كعباً عن صخرة بيت المقدس فذكره .

قال الحافظ ابن عساكر : وكونه من كلام كعب الأحبار أشبه قلت : وكلام كعب الأحبار هذا إنما تلقاه من الإسرائيليات التي منها ماهو مكذوب مفتعل وضعه بعض زنادقتهم أو جهالهم ، وهذا منه . . والله أعلم .

* * *

ذكر ميلاد العبد الرسول

عيسى ابن مريم العذراء البتول

قال الله تعالى : ﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو علىّ هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا . فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا . فأتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ما كان

أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت إليـــه ، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرآ بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا . والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ، ما كان لله أن يتخذ من ولد ، سبحانه ، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون . وإن الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾(١) .

ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التى هى كالمقدمة لها والتوطئة قبلها كما ذكر فى سورة آل عمران، قرن بينهما فى سياق واحد ، وكما قال فى سورة الأنبياء : ﴿ وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا . وكانوا لنا خاشعين . والتى أحصنت

---

(١) مريم : ١٦ - ٣٧

فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾[1].

وقد تقدم أن مريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس وأنه كفلها زوج أختها أو خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام، وأنه اتخذ لها محرابا وهو المكان الشريف من من المسجد لا يدخله أحد عليها سواه، وأنها لما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات، وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولداً زكيا يكون نبيا كريما طاهراً مكرما مؤيداً بالمعجزات، فتعجبت من وجود ولد من غير والد، لأنها لا زوج لها، ولا هي ممن تتزوج، فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت الأمر لله، وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها فإن الناس يتكلمون فيها بسببه، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل.

وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لا بد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء، فبينما هي

---

(1) الأنبياء : ٨٩ - ٩١ .

يوما قد خرجت لبعض شئونها ﴿ انتبــذت ﴾ أى انفردت وحدها شرقى المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام ﴿فتمثل لها بشراً سويا﴾ فلما رأته ﴿قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾ قال أبو العالية : علمت أن التقى ذو نهية(١) . وهذا يرد قول من زعم أنه كان فى بنى اسرائيل رجل فاسق مشهور بالفسق اسمه « تقى » فإن هذا قول باطل بلا دليل ، وهو من أسخف الأقوال .

﴿ قال إنما أنا رسول ربك ﴾ أى خاطبها الملك ﴿قال إنما أنا رسول ربك) أى لست ببشر ولكنى ملك بعثنى الله إليك ﴿ لأهب لك غلاماً زكيا ﴾ أى ولداً زكيا .

﴿ قالت أنّى يكون لى غلام ﴾ أى كيف يكون لى غلام أو يوجد لى ولد ﴿ ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ﴾ أى ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة ﴿ قال كذلك قال ربك هو علىّ هين ﴾ أى فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها والحـــالة هذه قائلاً : ﴿ كذلك قال ربك ﴾ أى وعد أنه سيخلق منك غلاما ولست بذات بعل ولا تكونين ممن تبغين

---

(١) أى ينتهى عن ارتكاب الإثم إذا تذكر الله أو ذكر به .

﴿ هو عليّ هين ﴾ أى وهذا سهل عليه ويسير لديه ، فإنه على ما يشاء قدير .

وقوله : ﴿ولنجعله آية للناس﴾ أى ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على كمال قدرتنا على أنواع الخلق ، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر ، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى . وقوله ﴿ ورحمة منا ﴾ أى نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله فى صغره وكبره فى طفوليته وكهوليته . بأن يُفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والأولاد والشركاء والنظراء والأضداد والأنداد .

وقوله : ﴿ وكان أمراً مقضيا ﴾ يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها ، يعنى أن هذا أمر قضاه الله وحتمه وقدره وقرره ، وهذا معنى قول محمد ابن اسحاق واختاره ابن جرير ، ولم يحك سواه .. والله أعلم .

ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ وكان أمراً مقضيا ﴾ كناية عن نفخ جبريل فيها كما قال تعالى : ﴿ ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ﴾(١) .

---

(١) التحريم : ١٢ .

وذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ فى جيب درعها(١) ، فنزلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها ، كما تحمل المرأة عند جماع بعلها .

ومن قال إنه نفخ فى فمها ، أو أن الذى كان يخاطبها هو الروح الذى ولج فيها من فمها ، فقوله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة فى محالها من القرآن ، فإن هذا السياق يدل على أن الذى أرسل إليها ملك من الملائكة ، وهو جبريل عليه السلام ، وأنه إنما نفخ فيها ، ولم يواجه الملك الفرج ، بل نفخ فى جيبها ، فنزلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه ، كما قال تعالى : ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾(٢) . فدل على أن النفخة ولجت فيه ، لا فى فمها ، كما رواه السدى بإسناده عن بعض الصحابة .

ولهذا قال تعالى : ﴿فحملته﴾ أى فحملت ولدها ﴿ فانتبذت به مكانا قصيا﴾ وذلك لأن مريم عليها السلام لما حملت ضاقت

(١) جيب القميص : ما ينفتح على النحر والجمع أجياب وجيوب . ودرع المرأة قميصها . أى أن النفخة كانت فى فتحة قميصها .

(٢) أى أن النفخ المباشر كان من الملك ، وهذا واضح ، ولكن أتى بنون العظمة فى قوله « فنفخنا » لتبين أنه أمر غير طبيعى ، والله تعالى أعلم .

به ذرعا ، وعلمت أن كثيراً من الناس سيكون منهم كلام فى حقها ، فذكر غير واحد من السلف ، منهم وهب بن منبه : أنها لما ظهرت عليها مخايل الحمل ، كان أول من فطن لذلك رجل من عُبّاد بنى اسرائيل ، يقال له « يوسف بن يعقوب النجار » ، وكان ابن خالها ، فجعل يتعجب من ذلك عجبا شديدا ، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها ، وهو مع ذلك يراها حبلى ، وليس لها زوج ، فعرّض لها ذات يوم فى الكلام ، فقال : يا مريم .. هل يكون زرع من غير بذر ؟ قالت : نعم ، فمن خلق الزرع الأول ؟ ثم قال : فهل يكون ولد من غير ذكر : قالت : نعم ،إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى . قال لها : فأخبرينى خبرك . فقالت : إن الله بشرنى ﴿ بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين ﴾(١) .

ويروى مثل هذا عن زكريا عليه السلام أنه سألها ، فأجابته بمثل هذا والله أعلم .

وذكر السدى بإسناده عن الصحابة : أن مريم دخلت يوما على أختها فقالت لها أختها : أشعرت أنى حبلى ؟ فقالت مريم : وشعرت أيضا أنى حبلى ؟ فاعتنقتها وقالت لها أم يحيى

(١) آل عمران : ٤٥ - ٤٦ .

«إنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك» وذلك قوله : ﴿مصدقا بكلمة من الله﴾ (١) .

ومعنى السجود ها هنا : الخضوع والتعظيم ، كالسجود عند المواجهة للسلام كما كان فى شرع من قبلنا ، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم .

وقال أبو القاسم : قال مالك : بلغنى أن عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة ، وكان حملهما جميعا معا ، فبلغنى أن أم يحيى قالت لمريم : إنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك» .

قال مالك : أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام ، لأن الله تعالى جعله يُحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص . رواه ابن أبى حاتم .

وروى عن مجاهد ، قال :

قالت مريم : كنت إذا خلوت : حدثنى وكلمنى ، وإذا كنت بين الناس سَبَّح(٢) فى بطنى .

---

(١) آل عمران : ٣٩ .   (٢) أى قال : سبحان الله .

ثم الظاهر أنها حملت به تسعة أشهر، كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن ، إذ لو كان خلاف ذلك لذكر .

وعن ابن عباس وعكرمة : أنها حملت به ثمانية أشهر .

وعن ابن عباس ما هو إلا أن حملت به فوضعته .

قال بعضهم : حملت به تسع ساعات ، واستأنسوا لذلك بقوله : ﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة﴾ .

والصحيح أن تعقيب كل شيء بحسبه ، كقوله : ﴿ فتصبح الأرض مخضرة ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناهُ خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾(١) .

ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوما ، كما ثبت فى الحديث المتفق عليه .

قال محمد بن إسحاق : شاع واشتهر فى بنى إسرائيل : أنها حامل، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل بيت زكريا(٢).

---

(١) المؤمنون : ١٤ .

(٢) يعنى من كلام الناس وما تناولوهم به من الأذى .

قال : واتهمها بعض الزنادقة بيوسف الذى كان يتعبد معها فى المسجـــد ، وتوارت عنهم مريم ، واعتزلتهم ، وانتبذت مكانا قصيا .

وقوله : ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ أى فالجأها واضطرها الطلق إلى جذع النخلة ، وهو بنص الحـديث الذى رواه النسائى بإسناد لا بأس به ، عن أنس مرفوعاً ، والبيهقى بإسناد وصححه عن شداد بن أوس ، مرفوعاً أيضا ، ببيت لحم الذى بنى عليه بعض ملوك الروم فيما بعد — على ما سنذكره — هذا البناء المشاهد الهائل .

﴿ قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا ﴾ فيه دليل على جواز تمنى الموت عند الفتن ، وذلك أنها علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها ، بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها ، مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات المجاورات فى المسجد ، المنقطعات إليه ، المعتكفات فيه ، ومن بيت النبوة والديانة ، فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال ، أو كانت ﴿ نسيا منسيا ﴾ أى لم تخلق بالكلية .

وقوله : ﴿ فناداها مَن تحتها ﴾(١) وقرىء ﴿ من تحتها ﴾ على الخفض(٢) ، وفى المضمر قولان : أحدهما أنه جبريل ، قاله العوفى ، عن ابن عباس ، قال : ولم يتكلم عيسى إلا بحضرة القوم . وبهذا قال سعيد بن جبير، وعمرو بن ميمون، والضحاك، والسدى ، وقتادة .

وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير فى رواية : هو ابنها عيسى . واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ ألاَّ تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ﴾(٣) قيل النهر ، وإليه ذهب الجمهور. وجاء فيه حديث رواه الطبرانى لكنه ضعيف ، واختاره ابن جرير ، وهو الصحيح .

وعن الحسن ، والربيع بن أنس ، وابن أسلم وغيرهم ، أنه ابنها .

---

(١) بفتح ميم من .

(٢) وهى قراءة حفص .

(٣) السرى : الجدول وهو النهر الصغير والجمع سريان بضم السين وسكون الراء . مثل : رغيف ورغفان . والسرى الرئيس والجمع سراة أى ذو الشأن العظيم فى قومه . والمعنيان جائزان .

والصحيح الأول ، لقوله : ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴾ فذكر الطعام والشراب ، ولهذا قال : ﴿ فكلى واشربى وقرى عينا ﴾ .

ثم قيل : كان جذع النخلة يابسا ، وقيل كانت نخلة مثمرة . . فالله أعلم .

ويحتمل أنها كانت نخلة ، لكنها لم تكن مثمرة إذ ذاك ، لأن ميلاده كان فى زمن الشتاء ، وليس ذاك وقت ثمر ، وقد يفهم ذلك من قوله تعالى على سبيل الامتنان ﴿ تساقط عليك رطبا جنيا ﴾ .

قال عمرو بن ميمون : ليس شىء أجود للنفساء من التمر والرطب ، ثم تلا هذه الآية .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسين ، حدثنا شيبان ، حدثنا مسرور بن سعيد التميمى ، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى ، عن عروة بن رويم ، عن على بن أبى طالب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أكرموا عمتكم النخلة ، فإنها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شىء يلقح غيرها » .

وقال رسول الله ﷺ : «أطعموا نساءكم الوُلَّدَ الرُّطب، فإن لم يكن رطبٌ فتمر، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران»(١) .

وكذا رواه أبو يعلى في مسنده، عن شيبان بن فروخ، ابن سعيد .

وفي رواية «مسرور بن سعد» والصحيح «مسرور بن سعيد» التميمي، أورد له ابن عدي هذا الحديث، عن الأوزاعي، به .

ثم قال : وهو منكر الحديث ولم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث .

وقال ابن حبان : يروى عن الأوزاعي المناكير الكثيرة ؛ التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها .

وقوله : ﴿ فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ . وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها، قال : ﴿ كلي واشربي وقري عينا ، فإما ترين من البشر أحداً ﴾(٢) أي فإن رأيت أحداً من الناس

---

(١) قال ابن كثير في التفسير : هذا حديث منكر جداً .

(٢) مريم : ٢٦ بلفظ (فكلي...)

﴿ فقولى ﴾ له أى بلسان الحال والإشارة : ﴿ إنى نذرت للرحمن صوماً ﴾ أى صمتاً ، وكان من صومهم فى شريعتهم : ترك الكلام والطعام . قاله قتادة والسدى وابن أسلم .

ويدل على ذلك قوله : ﴿ فلن أكلم اليوم إنسيا ﴾ فأما فى شريعتنا فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل .

وقوله تعالى : ﴿ فأتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا(١) . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا ﴾(٢) ذكر كثير من السلف [ممن ينقل عن أهل الكتاب] أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا فى طلبها ، فمروا على محلتها(٣) والأنوار حولها ، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها ، فقالوا لها : ﴿ يا مريم لقد جئت شيئا فريا ﴾ أى أمرا عظيما منكرا .

وفى هذا الذى قالوه نظر ، مع أنه كلام ينقض أوله آخره ، وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملته بنفسها ، وأتت به قومها ، وهى تحمله . قال ابن عباس : وذلك

---

(١) أى مصنوعا ومختلقا ، وقيل : عظيما ، كذا فى المختار .

(٢) مريم : ٢٧ - ٢٨ . البغى : الفاجر ، يقال : بغت المرأة إذا فجرت .

(٣) المحلة : المكان الذى نزلت به .

بعدما تعالت(١) من نفاسها : بعد أربعين يوما .

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها ﴿ قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا ﴾ والفرية هى الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال .

ثم قالوا لها : ﴿ يا أخت هارون ﴾ قيل شبهوها بعابد من عباد زمانهم كانت تساميه فى العبادة ، وكان اسمه هارون . قاله سعيد بن جبير .

وقيل أرادوا بهارون أخا موسى شبهوها به فى العبادة ، وأخطأ محمد بن كعب القرظى فى زعمه أنها أخت موسى وهارون نسبا ، فإن بينهما من الدهور الطويلة ما لا يخفى على أدنى من عنده من العلم ما يرده عن هذا القول الفظيع ، وكأنه غره أن فى التوراة أن مريم أخت موسى وهارون، ضربت بالدف يوم نجى الله موسى وقومه ، وأغرق فرعون وملأه ، فاعتقد أن هذه هى هذه .

وهذا فى غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح ، مع نص القرآن ، كما قررناه فى التفسير مطولا ، ولله الحمد والمنة .

---

(١) تعالت : أى : شفيت من نفاسها .

وقد ورد فى الحديث الصحيح ، الدال على أنه قد كان لها أخ اسمه هارون ، وليس فى ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها ما يدل على أنها ليس لها أخ سواه ... والله أعلم .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن إدريس ، سمعت أبى يذكره ، عن سماك ، عن علقمة بن وائل ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا : أرأيت ما تقرأون: ﴿ يا أخت هارون ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال : فرجعت ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال :

« ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم » .

وكذا رواه مسلم ، والنسائى ، والترمذى ، من حديث عبد الله ابن إدريس .

وقال الترمذى : حسن صحيح غريب . لا نعرفه إلا من حديثه .

وفى رواية : « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يتسمون بأسماء صالحيهم وأنبيائهم » .

وذكر قتادة وغيره أنهم كانوا يكثرون من التسمية بهارون

حتى قيل : إنه حضر بعض جنائزهم بشر كثير منهم ، ممن يسمى بهارون [أربعون ألفا] . . فالله أعلم .

والمقصود أنهم قالوا : ﴿ يا أخت هارون ﴾ ودل الحديث على أنها قد كان لها أخ نسبي اسمه هارون، وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير ، ولهذا قالوا : ﴿ ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾ أى لست من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم ، لا أخوك ولا أمك ولا أبوك ، فاتهموها بالفاحشة العظمى ، ورموها بالداهية الدهياء .

فذكر ابن جرير فى تاريخه، أنهم اتهموا بها زكريا. وأرادوا قتله ، ففر منهم فلحقوه ، وقد انشقت له الشجرة ، فدخلها وأمسك إبليس بطرف ردائه ، فنشروه فيها كما قدمناه(١) .

ومن المنافقين من اتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار .

(١) ذكر ابن كثير فى قصة زكريا عليه السلام أنه هرب من قومه فدخل شجرة فظهر طرف ردائه منها ، فشقوا الشجرة بالمنشار ، وفيها زكريا .

ولفراره من قومه ، روايات أخرى غير اتهامه بمريم .

فلما ضاق الحال ، وانحصر المجال ، وامتنع المقال ، عظم التوكل على ذى الجلال ، ولم يبق إلا الإخـــلاص والاتكال ﴿ فأشارت إليه ﴾ أى خاطبوه وكلموه ، فإن جوابكم عليه ، وما تبغون من الكلام لديه ، فعندها ﴿ قالوا ﴾ من كان منهم جباراً شقيا : ﴿ كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ﴾ أى كيف تحيلينا فى الجواب على صبى صغير لا يعقل الخطاب ، وهو مع ذلك رضيع فى مهده ، ولا يميز بين مخض وزبدة(١) وما هذا منك إلا على سبيـــل التهكم بنا والاستهزاء ، والنقص لنا والازدراء، إذ لا تردين علينا قولا نطقيا، بل تحيلين فى الجواب على من كان فى المهد صبيا .

فعندها ﴿ قال : إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أين ما كنت، وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا . وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا ، والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾(٢) .

هذا أول كلام تفوه به عيسى ابن مريم ، فكان أول ما تكلم به أن ﴿ قال إنى عبد الله ﴾ اعترف لربه تعالى بالعبودية ، وأن

---

(١) المخض اللبن الذى مخض وأخذ زبده ، والزبد : معروف .

(٢) مريم ٣٠ — ٣٣ .

الله ربه فنزه جناب الله عن قول الظالمين فى عمههم(١) إنه ابن الله ، بل هو عبده ورسوله وابن أمته ، ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون وقذفوها به ، ورموها بسببه بقوله : ﴿ آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ﴾ فإن الله لا يعطى النبوة من هو كما زعموا ، لعنهم الله وقبحهم ، كما قال تعالى : ﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ﴾(٢) وذلك أن طائفة من اليهود فى ذلك الزمان قالوا : إنها حملت به من زنا فى زمن الحيض ، [لعنهم الله] فبرأها الله من ذلك ، وأخبر عنها أنها صِدّيقة واتخذ ولدها نبيا مرسلا ، أحد أولى العزم الخمسة الكبار(٣) ولهذا قال : ﴿ وجعلنى مباركا أين ما كنت ﴾ وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونزه جنابه عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة ، تعالى وتقدس ﴿ وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ﴾ وهذه وظيفة العبيد فى القيام بحق العزيز

(١) العمه : التحير والتردد ، من قولهم : أرض عمهاء إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة (المصباح) .

(٢) النساء : ١٥٦ .

(٣) نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين .

الحميد بالصلاة ، والإحسان إلى الخليفـة بالزكاة ، وهى تشتمـل على طهارة النفـوس من الأخلاق الرذيلة ، وتطهـير الأموال الجزيلة بالعطية للمحاويج ؛ على اختلاف الأصـــناف ، وقرى الأضياف والنفقات على الزوجات والأرقاء والقرابات ، وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات .

ثم قال : ﴿ وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شـــقيا ﴾ أى وجعلنى برا بوالدتى ، وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحض جهتها إذ لا والد له سواها ، فسبحان من خلق الخليقة وبرأها ، وأعطى كل نفس هداها . ﴿ ولم يجعلنى جبارا شقيا ﴾ أى لست بفظ ولا غليظ ، ولا يصدر منى قول ولا فعل ينافى أمر الله وطاعته .

﴿ والسلام علىّ يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا ﴾ وهذه المواطن الثلاثة التى تقدم الكلام عليها فى قصة يحيى ابن زكريا عليهما السلام .

ثم لما ذكر تعالى قصته على الجليـــة ، وبين أمره ووضحه وشرحه ، قال ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول(١) الحق الذى فيه

---

(١) مفعول لفعل محذوف تقديره : قال : والضمير فى الجملة راجع إلى سيدنا عيسى ﷺ والمعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن الله يقول لهم : ذلك عيسى ابن مريم قال قول الحق ـ إلى آخره .

يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد ، سبحانه . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾[1] كما قال تعالى بعد ذكر قصته، وما كان من أمره فى آل عمران : ﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم . إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله ، وإن الله لهو العزيز الحكيم . فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين ﴾[2] .

ولهذا لما قدم وفد نجران ، وكانوا ستين راكبا ، يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ، ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة ، هم أشرافهم وسادتهم ، وهم : العاقب ، والسيد ، وأبو حارثة بن علقمة ، فجعلوا يناظرون فى أمر المسيح ، فأنزل الله صدر سورة آل عمران فى ذلك ، وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله ، وأمر رسوله بأن يباهلهم إن لم يستجيبوا له

---

(1) مريم ٣٤ و ٣٥ .

(2) آل عمران : ٥٨ — ٦٣ .

ويتبعوه ، فلما رأوا عينيها وأذنيها(١) نكصوا وامتنعوا عن المباهلة ، وعدلوا إلى المسالمة والموادعة ، وقال قائلهم ، وهو العاقب [عبد المسيح] : « يا معشر النصارى . لقد علمتم : أن محمداً لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنها للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم » .

فطلبوا ذلك من رسول الله ﷺ وسألوه أن يضرب عليهم جزية ، وأن يبعث معهم رجلا أمينا ، فبعث معهم أبا عبيدة ابن الجراح ، وقد بينا ذلك فى تفسير آل عمران ، وقد بسطنا هذه القصة فى السيرة النبوية .

والمقصود : أن الله تعالى بين أمر المسيح ، فقال لرسوله : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قولَ الحق الذى فيه يمترون ﴾ يعنى من أنه عبد مخلوق ، من امرأة من عباد الله ، ولهذا قال : ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد ، سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن

---

(١) يعنى : عينى المسألة وأذنيها ، أى وضحت وضوحا كاملا لا يحتمل اللبس وذلك أصل المثل الذى يضرب عندنا : « عرف عينها من ودنها » .

فيكون ﴾ أى لا يعجزه شىء ، ولا يكرهه ، ولا يؤوده ، بل هو القدير الفعال لما يشاء ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾(١) وقوله : ﴿ وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾(٢) هو من تمام كلام عيسى لهم فى المهد ، أخبرهم أن الله ربه وربهم ، وإلهه وإلههم ، وأن هذا هو الصراط المستقيم .

قال الله تعالى : ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾(٣) أى فاختلف أهل ذلك الزمان ومَن بعدهم فيه .

فمن قائل من اليهود : إنه ولد زنية ، واستمروا على كفرهم وعنادهم .

وقابلهم آخرون فى الكفر ، فقالوا : هو الله .

وقال آخرون : هو ابن الله .

وقال المؤمنون : هو عبدالله ورسوله ، وابن أمته وكلمته ، ألقاها إلى مريم وروح منه ، وهؤلاء هم الناجون المثابون والمؤيدون المنصورون ، ومن خالفهم فى شىء من هذه القيود ،

---

(١) يس : ٨٢ . (٢) مريم : ٣٦ . (٣) مريم : ٣٧ .

فهم الكافرون الضالون الجاهلون ، وقد توعدهم العلى العظيم الحكيم العليم بقوله : ﴿ فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ .

قال البخاري : حدثنا صدقة بن الفضل ، أنبأنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني عمير بن هانئ ، حدثني جنادة بن أبي أمية ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي ﷺ قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » .

قال الوليد : فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن عمير ، عن جنادة ، وزاد : « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء » .

وقد رواه مسلم : عن داود بن رشيد ، عن الوليد ، عن جابر به ، ومن طريق أخرى عن الأوزاعي به .

* * *

باب

بيان أن الله تعالى منزه عن الولد تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً

وقال تعالى فى آخر هذه السورة : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا إدا ﴾(١) شيئا عظيما ، ومنكرا من القول وزوراً ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾(٢) .

فبين أنه تعالى لا ينبغى له الولد ، لأنه خالق كل شىء ومالكه ، وكل شىء فقير إليه ، خاضع ذليل لديه ، وجميع سكان السموات والأرض عبيده ، هو ربهم لا إله إلا هو ، ولا رب

---

(١) مريم : ٨٨ - ٨٩ .   (٢) مريم : ٩٠ - ٩٥ .

سواه ، كما قال تعالى : ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ، وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ، سبحانه وتعالى عما يصفون . بديع السموات والأرض ، أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم ، ذلكم الله ربكم ، لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾(١).

فبين أنه خالق كل شيء ، فكيف يكون له ولد ، والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين ، والله تعالى : لا نظير له ، ولا شبيه ولا عديل له ، فلا صاحبة له ، فلا يكون له ولد ، كما قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ﴾(٢) يقرر أنه الأحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿ الصمد ﴾ وهو السيد الذي كمل في علمه وحكمته ورحمته ، وبلغ جميع صفاته ﴿ لم يلد ﴾ أي لم يوجد منه ولد ﴿ ولم يولد ﴾ أي ولم يتولد عن شيء قبله ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ أي وليس له عدل ولا مكافيء ولا مساو ، فقطع النظير : المداني ، والأعلى ، والمساوي ، فانتفى

---

(١) الأنعام : ١٠٠ - ١٠٣ . (٢) سورة الإخلاص .

أن يكون له ولد ، إذ لا يكون الولد إلا متولدا بين شيئين متعادلين أو متقاربين ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وقال تبارك وتعالى وتقدس : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه (١) ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم . إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من

---

(١) قال ابن كثير : « وقد قال مجاهد فى قوله « وروح منه » أى رسول منه ، وقد قال غيره : ومحبة منه ، والأظهر الأول ، وهو أنه روح مخلوق من روح مخلوقة ، وأضيف الروح إلى الله على وجه التشريف . وقال فى « المختار » : وعيسى عليه السلام « كلمة الله » لأنه لما انتفع بكلامه : سمى به ، كما يقال : فلان سيف الله وأسد الله .

دون الله وليا ولا نصيرا ﴾(١) .

ينهى تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والإطراء في الدين ، وهو مجاوزة الحد ، فالنصارى لعنهم الله غلوا وأطروا المسيح حتى جاوزوا الحد .

فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا : أنه عبد الله ورسوله ، ابن أمته العذراء البتول ، التي أحصنت فرجها ، فبعث الله الملك جبريل إليها فنفخ فيها عن أمر الله نفخة حملت منها بولدها عيسى عليه السلام .

والذي اتصل بها من الملك هي الروح المضافة إلى الله ، إضافة تشريف وتكريم ، وهي مخلوقة من مخلوقات الله تعالى ، كما يقال : بيت الله ، وناقة الله ، وعبد الله . وكذا روح الله ، أضيف إليه تشريفاً لها وتكريما .

وسمى عيسى بها ، لأنه كان بها من غير أب ، وهي الكلمة أيضا التي عنها خلق ، وبسببها وجد ، كما قال تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾(٢) .

---

(١) النساء : ١٧١ - ١٧٣ .

(٢) آل عمران : ٥٩ .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولداً ، سبحانه ، بل له ما فى السموات والأرض ، كل له قانتون ، بديع السموات والأرض ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون ﴾(٢) .

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله ، كل من الفريقين ادعوا على الله شططاً ، وزعموا أن له ولدا ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ، ولا فيما ائتفكوه(٣) ، إلا مجرد القول ، ومشابهة من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة : تشابهت قلوبهم .

وذلك أن الفلاسفة عليهم لعنة الله ، زعموا أن العقل الأول صدر عن واجب الوجود ، الذى يعبرون عنه بعلة العلل ، والمبدأ الأول، وأنه صدر عن العقل الأول ، عقل ثان ، ونفس ، وفلك ، ثم صدر عن الثانى كذلك ، حتى تناهت العقول إلى عشرة ، والنفوس إلى تسعة ، والأفلاك إلى تسعة ، باعتبارات فاسدة

(١) البقرة : ١١٦ - ١١٧ . (٢) التوبة : ٣٠ .

(٣) الإفك: الكذب والأفاك: الكذاب الأثم، والائتفاك: الافتراء .

ذكروها واختيارات باردة أوردوها .

ولبسط الكلام معهم وبيان جهلهم وقلة عقلهم موضع آخر .

وهكذا طوائف من مشركي العرب ، زعموا لجهلهم أن الملائكة بنات الله ، وأنه صاهر سروات(١) الجن ، فتولد منها الملائكة ، تعالى الله عما يقولون وتنزه عما يشركون . كما قال تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن ، إناثا ، أشهدوا خلقهم ، ستكتب شهادتهم ويسئلون ﴾(٢) .

وقال تعالى : فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون . أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون . ألا إنهم من إفكهم ليقولون . ولد الله وإنهم لكاذبون . أصطفى البنات على البنين . مالكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون . أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ، وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ، سبحان الله عما يصفون . إلا عباد الله المخلصين ﴾(٣) .

---

(١) سروات : جمع سراة ، وسراة كل شيء : أعلاه .

(٢) الزخرف : ١٩ .

(٣) الصافات : ١٤٩ - ١٦٠ .

وقال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين ﴾ (١) .

وقال تعالى فى أول سورة الكهف ، وهى مكية : ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنا . ماكثين فيه أبدا . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . مالهم به من علم ولا لآبائهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون إلا كذبا ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ قالوا اتخذ الله ولدا ، سبحانه ، هو الغنى ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، إن عندكم من سلطان بهذا ، أتقولون على الله ما لا تعلمون . قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾(٣) .

---

(١) الأنبياء : ٢٦ – ٢٩ . (٢) الكهف : ١ – ٥ .
(٣) يونس : ٦٨ – ٧٠ .

فهذه الآيات المكيات الكريمات ، تشمل الرد على سائر فرق الكفرة، من الفلاسفة ومشركى العرب، واليهود والنصارى الذين ادعوا وزعموا بلا علم أن لله ولدا : سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا .

ولما كانت النصارى عليهم لعنة الله المتتابعة إلى يوم القيامة من أشهر من قال بهذه المقالة ، ذكروا فى القرآن كثيراً للرد عليهم ، وبيان تناقضهم، وقلة علمهم وكثرة جهلهم ، وقد تنوعت أقوالهم فى كفرهم ، وذلك أن الباطل كثير التشعب والاختلاف والتناقض .

وأما الحق فلا يختلف ولا يضطرب . قال الله تعالى : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا ﴾ (١) . فدل على أن الحق يتحد ويتفق ، والباطل يختلف ويضطرب . فطائفة من ضلالهم وجهالهم زعموا أن المسيح هو الله تعالى . وطائفة قالوا هو ابن الله ، عز الله . وطائفة قالوا : هو ثالث ثلاثة . جل الله .

قال الله تعالى فى سورة المائدة : ﴿ لقد كفر الذين قالوا

---

(١) النساء : ٨٢ .

إن الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شىء قدير ﴾(١) فأخبر تعالى عن كفرهم وجهلهم ، وبين أنه الخالق القادر على كل شىء ، وأنه رب كل شىء ومليكه وإلهه .

وقال فى أواخرها : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح : يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه . والله غفور رحيم . ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صدّيقة ، كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون ﴾(٢) .

حكم تعالى بكفرهم : شرعاً وقدرا ، فأخبر أن هذا صدر منهم ، مع أن الرسول إليهم هو عيسى ابن مريم ، وقد بين لهم

---

(١) المائدة : ١٧ . (٢) المائدة : ٧٢ - ٧٥ .

أنه عبد مربوب، مخلوق مصور فى الرحم، داع إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار، وعدم الفوز بدار القرار، والخزى فى الدار الآخرة والهوان والعار، ولهذا قال: ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار ﴾.

ثم قال: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ﴾ قال ابن جرير وغيره: المراد بذلك قولهم بالأقانيم(1) الثلاثة: أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الإبن، على اختلافهم فى ذلك، ما بين المليكية، واليعقوبية، والنسطورية، عليهم لعائن الله، كما سنبين كيفية اختلافهم فى ذلك، ومجامعهم الثلاثة فى زمن قسطنطين ابن قسطس، وذلك بعد المسيح بثلاثمائة سنة، وقبل البعثة المحمدية بثلاثمائة سنة.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وما من إله إلا إله واحد ﴾ أى وما من إله إلا الله وحده، لا شريك له، ولا نظير له، ولا كفؤ له، ولا صاحبة له، ولا ولد.

---

(1) الأقنوم فى اللغة هو: الأصل، وهى كلمة رومية الأصل.

ثم توعدهم وتهددهم فقال : ﴿ وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ ثم دعاهم برحمته ولطفه إلى التوبة والاستغفار من هذه الأمور الكبار ، والعظائم التى توجب النار فقال : ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم ﴾ .

ثم بين حال المسيح وأمه وأنه عبد رسول وأمه صديقة . أى ليست بفاجرة كما يقول اليهود لعنهم الله .

وفيه دليل على أنها ليست بنبيه ، كما زعمه طائفة من علمائنا . وقوله : ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ كناية عن خروجه منهما ، كما يخرج من غيرهما ، أى ومن كان بهذه المثابة : كيف يكون إلهاً ، تعالى الله عن قولهم وجهلهم علواً كبيرا .

وقال السدّى وغيره ، المراد بقوله : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ زعمهم فى عيسى وأمه أنهما الإلهان مع الله ، يعنى كما بين تعالى كفرهم فى ذلك بقوله فى آخر هذه السورة الكريمة : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك مايكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم

ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وانت على كل شىء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾(١) .

يخبر تعالى : أنه يسأل عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة ، على سبيل الإكرام له ، والتقريع والتوبيخ لعابديه ، ممن كذب عليه وافترى ، وزعم أنه ابن الله ، أو أنه الله ، أو أنه شريكه ، تعالى الله عما يقولون ، فيسأله ، وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ، ولكن لتوبيخ من كذب عليه ، فيقول له : ﴿ أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ﴾ أى تعاليت أن يكون معك شريك ﴿ مايكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ﴾ أى ليس هـذا يستحقه أحد سواك ﴿ إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ﴾ وهذا تأدب عظيم فى الخطاب ، والجواب ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ﴾ أى ما قلت غير ما أمرتنى عليه حين أرسلتنى إليهم وأنزلت على الكتاب الذى كان يتلى عليهم .

---

(١) المائدة : ١١٦ - ١١٨ .

ثم فسر ما قاله لهم بقوله : ﴿ أن اعبدوا الله ربى وربكم ﴾ أى خالق وخالقكم ، ورازق ورازقكم ﴿ وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى ﴾(١) أى رفعتنى إليك حين أرادوا قتلى وصلبى ، فرحمتنى وخلصتنى منهم ، وألقيت شبهى على أحدهم حتى انتقموا منه ، فلما كان ذلك ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد ﴾ .

ثم قال على وجه التفويض إلى الرب عز وجل ، والتبرى من أهل النصرانية : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ أى : وهم يستحقون ذلك ﴿ وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ وهذا التفويض والإسناد إلى المشيئة بالشرط ، لا يقتضى وقوع ذلك ، ولهذا قال : ﴿ فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ ولم يقل الغفور الرحيم(٢) .

---

(١) ليس التوفى هنا : الإماتة، فإنه رفع إلى السماء حيا عليه الصلاة والسلام ولا زال حيا ، وإنما هو من الاستيفاء ، تقول : توفى فلان حقه ووفيته حقه وتوفاه أجره ، والقصد منه أن أجل الرسالة قد انتهى برفع الله له .

(٢) إذ لو سأل سائل : لم لم يقل فى آخر الآيه « فإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم» بل قال : «فإنك أنت العزيز الحكيم» . نقول له : إن هذا كمال الأدب مع الله تبارك وتعالى من ناحية، ومن ناحية أخرى يقول : لو غفرت لهم ، فمن عزة وقوة منك سبحانك ولحكمة لا أعرفها أنا فإنك أنت العزيز الذى لا يقهر والحكيم الذى يضع الشىء فى نصابه، وقد أوعد الله أنه لا يغفر لمن أشرك به فقال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به » .

وقد ذكرنا في التفسير مارواه الإمام أحمد ، عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قام بهذه الآية الكريمة ليلة حتى أصبح : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ وقال « إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها ، وهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئا » وقال : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين . لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا، إنا كنا فاعلين . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون . وله من في السموات والأرض ، ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ، سبحانه هو الله الواحد القهار. خلق السموات والأرض بالحق ، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى ، ألا هو العزيز الغفار ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين . سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ﴾(٣)

---

(١) الأنبياء : ١٦ — ٢٠ . (٢) الزمر : ٤ — ٥ .

(٣) الزخرف : ٨١ — ٨٢ .

وقال تعالى : ﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك، ولم يكن له ولى من الذل، وكبره تكبيرا ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ﴾(٢) .

وثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« يقول الله تعالى : « شتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، يزعم أن لى ولداً وأنا الأحد الصمد ، الذى لم ألد ولم أولد، ولم يكن لى كفواً أحد ﴾(٣) .

وفى الصحيح أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم » .

ولكن ثبت فى الصحيح أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة، إن أخذه أليم شديد ﴾(٤).

---

(١) الإسراء : ١١١ .   (٢) سورة الإخلاص .

(٣) رواه الإمام أحمد والنسائى والبخارى .

(٤) هود : ١٠٢ .

وهكذا قوله تعالى : ﴿ وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ، ثم أخذتها وإلىّ المصير ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ، ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿ فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾(٤) .

* * *

(١) الحج : ٤٨ .
(٢) لقمان : ٢٤ .
(٣) يونس : ٦٩ — ٧٠ .
(٤) الطارق : ١٧ .

ذكر منشأ عيسى ابن مريم عليهما السلام

ومرباه فى صغره وصباه، وبيان بدء الوحى إليه من الله تعالى

قد تقدم أنه ولد ببيت لحم، قريبا من بيت المقدس.

وزعم وهب بن منبه «أنه ولد بمصر، وأن مريم سافرت هى ويوسف بن يعقوب النجار، وهى راكبة على حمار ليس بينهما وبين الإكاف شىء» وهذا لا يصح.

والحديث الذى تقدم ذكره: دليل على أن مولده كان ببيت لحم، كما ذكرنا، ومهما عارضه فباطل(١).

(١) سافرت بالفعل، لكن بعد ميلاد عيسى ﷺ. ومكثت بأرض البهنسا (من بلاد الصعيد)، والمسيح عليه السلام لم يولد فى مصر، وصريح القرآن يدل على أن ميلاده كان بفلسطين، وذلك قوله تعالى: ﴿فأشارت إليه قالوا: كيف نكلم من كان فى المهد صبيا﴾ ـ إذ هذه الإشارة كانت لقومها لا لأهل مصر.

وذكر وهب بن منبه أنه لما خرت الأصنام يومئذ فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأن الشياطين حارت فى سبب ذلك ، حتى كشف لهم إبليس(١) الكبير أمر عيسى، فوجدوه فى حجر أمه والملائكة محدقة به ، وأنه ظهر نجم عظيم فى السماء ، وأن ملك الفرس أشفق من ظهوره، فسأل الكهنة عن ذلك، فقالوا : هذا لمولد عظيم فى الأرض ، فبعث رسله ومعهم : ذهب ، ومر ، ولبان ، هدية إلى عيسى ،فلما قدموا الشام سألهم ملكهم عما أقدمهم ، فذكروا له ذلك ،فسأل عن ذلك الوقت فإذا قد ولد فيه عيسى ابن مريم ببيت المقدس ، واشتهر أمره بسبب كلامه فى المهد ، فأرسلهم إليه بما معهم ، وأرسل معهم من يعرفه له ، ليتوصل إلى قتله إذا انصرفوا عنه ، فلما وصلوا إلى مريم بالهدايا ، ورجعوا قيل لها : إن رسل ملك الشام إنما جاءوا ليقتلوا ولدك . فاحتملته فذهبت به إلى مصر ، فأقامت به حتى بلغ عمره اثنتى عشرة سنة ، وظهرت عليه كرامات ومعجزات فى حال صغره . فذكر منها : أن الدهقان الذى نزلوا عنده افتقد مالا من داره ، وكانت داره لا يسكنها إلا الفقراء والضعفاء

---

(١) إبليس : هو الذى يأس من رحمة الله . وهو علم على الشيطان ، وقد جاء ذكره فى أحد عشر موضعاً من القرآن

والحاويج ، فلم يدر من أخذها ، وعز ذلك على مريم عليها السلام ، وشق على الناس وعلى رب المنزل ، وأعياهم أمرها ، فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك عمد إلى رجل أعمى وآخر مقعد من جملة من هو منقطع إليه ، فقال للأعمى : « احمل هذا المقعد وانهض به ، فقال : إنى لا أستطيع ذلك ، فقال : بلى ، كما فعلت أنت وهو حين أخذتما هذا المال من تلك الكوة من الدار » . فلما قال ذلك صدقاه فيما قال ، وأتيا بالمال ، فعظم عيسى فى أعين الناس وهو صغير جداً .

ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس، بسبب ظهور أولاده . فلما اجتمع الناس وأطعمهم ، ثم أراد أن يسقيهم شراباً — يعنى خمراً — كما كانوا يصنعون فى ذلك الزمان، لم يجد فى جراره شيئاً ، فشق ذلك عليه ، فلما رأى عيسى ذلك منه، قام فجعل يمر على تلك الجرار ، ويمر يده على أفواهها فلا يفعل بجرة منها ذلك إلا امتلأت شراباً من خيار الشراب(١) ، فتعجب الناس من ذلك جداً ، وعظموه وعرضوا عليه وعلى أمه مالا جزيلا ، فلم يقبلاه ، وارتحلا قاصدين بيت المقدس . . والله أعلم .

---

(١) ليس بخمر ، وإنما هو شراب إلهى، وكذلك حدث فى كل البلد ببركة عيسى ﷺ .

وقال إسحق بن بشر : أنبانا عثمان بن ساج وغيره عن موسى ابن وردان ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد ، وعن مكحول ، عن أبى هريرة ، قال : « إن عيسى ابن مريم أول ما أطلق الله لسانه — بعد الكلام الذى تكلم به وهو طفل — فمجد الله تمجيداً لم تسمع الآذان بمثله ، لم يدَع شمسا ولا قمرا ولا جبلا ولا نهرا ولا عينا إلا ذكره فى تمجيده . فقال :

اللهم أنت القريب فى علوك ، المتعال فى دنوك ، الرفيع على كل شىء من خلقك ، أنت الذى خلقت سبعاً فى الهواء بكلماتك(١) مستويات طباقاً . أجبن وهن دخان من فَرَقك ، فأتين طائعات لأمرك فيهن ملائكتك يسبحون قدسك : لتقديسك ، وجعلت فيهن نوراً على سواد الظلام ، وضياء من ضوء الشمس بالنهار ، وجعلت فيهن الرعد المسبح بالحمد ، فبعزتك يجلو ضوء ظلمتك ، وجعلت فيهن مصابيح يهتدى فى الظلمات الحيران ، فتباركت اللهم فى مفطور(٢) سماواتك ، وفيما دحوت(٣) من أرضك ،

(١) أى سبع سماوات خلقتها بكلمة « كن » .
(٢) من معانيه . الابتداء والاختراع .
(٣) الدحو : البسط على شكل بيضه .

دحوتها على الماء فسمكتها(١) على تيار الموج الغامر ، فأذللتها إذلال التظاهر ، فذل لطاعتك صعبها . واستحيا لأمرك أمرها، وخضعت لعزتك أمواجها ، ففجرتَ فيها بعد البحور الأنهار، ومن بعد الأنهار الجداول الصغار ، ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار ، ثم أخرجت منها الأنهار والأشجار والثمار ، ثم جعلت على ظهرها الجبال فوتدتها(٢) فأطاعت أطوادها وجلمودها(٣) .

فتباركت اللهم : فمن يبلغ بنعته نعتك؟! أم من يبلغ بصفته صفتك ؟ ! تنشر السحاب وتفك الرقاب ، وتقضى الحق وأنت خير الفاصلين .

لا إله إلا أنت سبحانك : أمرتَ أن نستغفرك من كل ذنب .

لا إله إلا أنت سبحانك : سترت السموات عن الناس .

---

(١) أى رفعتها .
(٢) وتدها : جعلها أوتاداً للأرض .
(٣) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل . والجلمود : الصخر .

لا إله إلا أنت سبحانك : إنما يخشاك من عبادك الأكياس(١) .

نشهد أنك لست بإله استحدثناك ، ولا رب يبيدُ (٢) ذكره ، ولا كان معك شركاء فندعوهم وندَرك ، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشك فيك .

نشهد أنك أحد صمد ، لم تلد ولم تولد ، ولم يكن لك كفواً أحد » .

وقال إسحاق بن بشر : عن جويبر ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : إن عيسى ابن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلا ، حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ، ثم أنطقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان ، فأكثر اليهود فيه وفى أمه من القول ، وكانوا يسمونه ابن البغية وذلك قوله تعالى : ﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما ﴾(٣) .

قال : « فلما بلغ سبع سنين أسلمته أمه فى الكتاب ، فجعل

---

(١) الكيس : العاقل المتزن .

(٢) يبيد : من باد ، بمعنى : هلك .

(٣) النساء : ١٥٦ .

لا يعلمه المعلم شيئاً إلا بدره إليه . فعلمه أبا جاد ، فقال عيسى : ما « أبو جاد » ؟ فقال المعلم : لا أدرى . فقال عيسى : كيف تعلمنى ما لا تدرى ؟ فقال المعلم : إذن فعلمنى، فقال له عيسى: فقم من مجلسك . فقام ، فجلس عيسى مجلسه ، فقال : سلنى ؟ فقال المعلم : « فما أبو جاد » ؟ فقال عيسى: « الألف: آلاء الله . والباء : بهاء الله ، والجيمُ بهجة الله وجماله » . فعجب المعلم من ذلك ، فكان أول من فسر « أبا جاد »(١) .

ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فأجابه على كل كلمة بحديث طويل موضوع لا يستثل عنه ولا يتمادى(٢) .

وهكذا روى ابن عدى ، من حديث إسماعيل بن عياش ، عن إسماعيل ابن يحيى ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن مسعود ، عن مسعر بن كِدَام ، عن عطية ، عن أبى سعيد ، رفع الحديث ، فى دخول عيسى إلى الكتاب وتعليمه المعلم معنى حروف « أبى جاد » ، وهو مطول : لا يفرح به .

---

(١) كلمة : « أبا جاد » المقصود الأحرف الأبجدية ، ولكل لغة أبجديتها الخاصة بها .

(٢) جملة « موضوع » إلى آخره صفة للحديث كله .

ثم قال ابن عدى : « وهذا الحديث باطل بهذا الإسناد ، لا يرويه غير إسماعيل » .

وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة ، قال : كان عبدالله بن عمر يقول : « كان عيسى ابن مريم ، وهو غلام يلعب مع الصبيان ، فكان يقول لأحدهم : تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك ؟ فيقول : نعم ، فيقول : خبأت لك كذا وكذا . فيذهب الغلام منهم إلى أمه ، فيقول لها أطعمينى ما خبأت لى . فتقول : وأى شىء خبأت لك ؟ فيقول : كذا وكذا . فتقول له : من أخبرك ؟ فيقول : عيسى ابن مريم .

فقالوا : والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم. فجمعوهم فى بيت وأغلقوا عليهم، فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم . فسمع ضوضاءهم فى بيت ، فسأل عنهم ؟ فقالوا : إنما هؤلاء قردة وخنازير .

فقال : اللهم كذلك» . فكانوا كذلك . رواه ابن عساكر .

وقال إسحاق بن بشر ، عن جويبر ، ومقاتل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : « وكان عيسى يرى العجائب فى صباه إلهاما من الله ، ففشا ذلك فى اليهود ، وترعرع عيسى ، فهمت به بنو إسرائيل، فخافت أمه عليه ، فأوحى الله إلى أمه ، أن تنطلق

به إلى أرض مصر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ، وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾(١) .

وقد اختلف السلف والمفسرون فى المراد بهذه الربوة التى ذكر الله صفتها : أنها ذات قرار ومعين ، وهذه صفة غريبة الشكل ، وهى أنها ربوة ، وهو : المكان المرتفع من الأرض الذى أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متسع ، ومع علوه فيه عيون الماء المعين ، وهو الجارى السارح على وجه الأرض ، فقيل : المراد المكان الذى ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس ، ولهذا ﴿ ناداها من تحتها ألا تحزنى ، قد جعل ربك تحتك سريا ﴾(٢) وهو النهر الصغير فى قول جمهور السلف .

وعن ابن عباس بإسناد جيد أنها أنهار دمشق ، فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق .

وقيل ذلك بمصر ، كما زعمه مَن زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم . . والله أعلم . وقيل هى الرملة(٣) .

وقال إسحاق بن بشر : قال لنا إدريس ، عن جده وهب

---

(١) المؤمنون : ٥٠ . (٢) مريم : ٢٤ بلفظ : ﴿ فناداها ... ﴾ .

(٣) الرملة : بلدة بفلسطين تقع فى الغرب وإلى ناحية الشمال من القدس .

بن منبه ، قال : إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة ، أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا ، قال : فقدم عليه يوسف ابن خال أمه ، فحملهما على حمار ، حتى جاء بهما إلى إيليا ، وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل ، وعلمه التوراة ، وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الأسقام ، والعلم بالغيوب مما يدخرون فى بيوتهم ، وتحدث الناس بقدومه ، وفزعوا لما كان يأتى من العجائب ، فجعلوا يعجبون منه ، فدعاهم إلى الله ، ففشا فيهم أمره .

بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها

وقال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنى معاوية ابن صالح، عمن حدثه قال:

« أنزلت التوراة(١) على موسى فى ست ليال خلون من شهر رمضان.

ونزل الزبور(٢) على داود فى اثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وذلك بعد التوراة بأربعمائة سنة، واثنتين وثمانين سنة.

---

(١) التوراة كلمة مستعربة من أصل كلمة «تورا» العبرية بمعنى قانون، وينسب اليهود تدوين التوراة إلى موسى عليه السلام، وإن كان التحقيق التاريخى يؤكد أنها دونت فى أزمنة مختلفة لاختلاف الأسلوب.

(٢) الزبور: فى اللغة الكتاب عامة، ويطلق على الكتاب المنزل على نبي الله داود، وفى التوراة ويشتمل الزبور على ٧٣ مزمورا، وهو أحد الأسفار التى تنقسم إليها التوراة ومجموع مزاميره ١٥٠ مزمورا. « سفر المزامير ».

وأنزل الإنجيل(١) على عيسى ابن مريم فى ثمانية عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، بعد الزبور بالف عام وخمسين عاما .

---

(١) إنجيل : الإنجيل كلمة يونانية معربة بمعنى البشارة بالسعادة وهو يطلق على الكتب التى وضعت بعد زمن المسيح وتقص أحواله ومعجزاته وتعاليمه . ويعرف الإنجيل بالعهد الجديد تمييزاً له عن التوراة أو العهد القديم .

ويوجد أكثر من مائة إنجيل كتبها تلاميذ المسيح وتلاميذ تلاميذه . إلا أن الكنيسة المسيحية لا تعترف إلا بأربعة أناجيل واعتبرت الأخرى منحولة وهذه الأناجيل الأربعة هى :

١ — إنجيل متى	: كتب عام ٣٩ م —	يحتوى على ٢٧ أصحاحاً	
٢ — إنجيل مرقص	: « « ٦١	« ١٦	«
٣ — « لوقا		« ٢٤	«
٤ — « يوحنا	٩٦ م	« ٢١	«

ومن أشهر الأناجيل التى حرمتها الكنيسة إنجيل برنابا وإنجيل الصبوة .

وأنزل الفرقان على محمد ﷺ فى أربع وعشرين من شهر رمضان »(١) .

وقد ذكرنا فى التفسير عند قوله : ﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾(٢) . الأحاديث الواردة فى ذلك ، وفيها أن الإنجيل أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام فى ثمانى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان .

وذكر ابن جرير فى « تاريخه » أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ، ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

---

(١) هذا الحديث رواه الطبرانى والإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان ، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان ، ونزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان . »
راجع تفسير ابن كثير عند آية الصيام : ١٨٥ من سورة البقرة .
(٢) البقرة : ١٨٥ .

وقال إسحاق ابن بشر : وأنبأنا سعيد بن أبى عَرُوبة ، عن قتادة ، ومقاتل عن قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن أبى هريرة ، قال : أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم : يا عيسى جد فى أمرى ولا تهن ، واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول ، إنك من غير فحل ، وأنا خلقتك آية للعالمين ، إياى فاعبد وعلىّ فتوكل ، خذ الكتاب بقوة ، فسّر لأهل السريانية ، بلغ من بين يديك أنى أنا الحق الحى ، القائم الذى لا أزول ، صدّقوا النبى الأمى العربى صاحب الجمل والتاج — وهى العمامة — والمدرعة والنعلين والهراوة — وهى القضيب — الأنجل العينين , الصلت الجبين، الواضح الخدين، الجعد الرأس الكث اللحية ، المقرون الحاجبين ، الأقنى الأنف، المفلج الثنايا البادى العنفقة ، الذى كأن عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجرى فى تراقيه ، له شعرات من لَبته(١) إلى سرته ، تجرى كالقضيب ، ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره ، شثن الكف والقدم ، إذا التفت التفت جميعا . وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صَبب ، عَرَقهُ فى وجهه كاللؤلؤ ،

---

(١) اللبة بوزن الحبة : المنحر .

وريح المسك ينفح(١) منه ، ولم ير قبله ولا بعده مثله ، الحسن القامة ، الطيب الريح ، نكاح النساء ، ذا النسل القليل ، إنما نسله من مباركة(٢) لها بيت — يعنى فى الجنة — من قصب ، لا نصب فيه ولا صخب ، تكفله يا عيسى فى آخر الزمان كما كفل زكريا أمك . له منها فرخان مستشهدان(٣) ، وله عندى منزلة ليست لأحد من البشر ، كلامه القرآن ، ودينه الإسلام ، وأنا السلام . طوبى لمن أدرك زمانه ، وشهد أيامه ، وسمع كلامه » .

قال عيسى : يا رب . . وما طوبى ؟

قال : غرس شجرة أنا غرستها بيدى ، فهى للجنان كلها ، أصلها من رضوان ، وماؤها من تسنيم ، وبردها : برد الكافور ، وطعمها : طعم الزنجبيل ، وريحها ريح المسك ، من شرب منها شربة لم يظمأ بعدها أبدا .

قال عيسى : يارب . . اسقنى منها . قال : حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبى وحرام على الأمة أن

---

(١) يفيح . (٢) السيدة خديجه رضى الله عنها وأرضاها ، والقصب أنابيب من جوهر . (٣) الحسن والحسين رضى الله عنهما .

إشربوا منها حتى تشرب منها أمة ذلك النبي .

قال يا عيسى أرفعـــك إلىّ . قال : يا رب ، ولم ترفعنى ؟ قال : أرفعك ، ثم أهبطك فى آخر الزمان ، لترى من أمة ذلك النبي العجائب ، ولتعينهم على قتال اللعين الدجال ، أهبطك فى وقت صلاة ، ثم لا تصلى(١) بهم ، لأنها مرحومة ولا نبي بعد نبيهم » .

وقال هشام بن عمار ، عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الرحمن ابن يزيد ، عن أبيه أن عيسى قال : « يا رب . . أنبئنى عن هذه الأمة المرحومة . قال : أمة أحمد ، هم علماء ، حكماء ، كأنهم أنبياء ، يرضون منى بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل ، وأدخلهم بلا إله إلا الله .

يا عيسى . . هم أكثر سكان الجنة ، لأنه لن تذلّ ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ، ولن تذل رقاب قوم قط بالسجود ، كما ذلت به رقابهم ، رواه ابن عساكر .

---

(١) لأن نزوله وقت ذاك : لا لرسالة ، وإنما ليحارب الذين عبدوه من دون الله . فهو تابع لا متبوع .

وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن دينار العقيلي ، عن عبد الله بن عوسجة ، قال : أوحى الله إلى عيسى ابن مريم : « أنزلني من نفسك كهمك ، واجعلني ذخراً لك في معادك ، وتقرب إلى بالنوافل أحبك ، ولا تول غيرى فأخذلك ، اصبر على البلاء ، وارض بالقضاء ، وكن لمسرتى فيك ، فإن مسرتى أن أطاع فلا أعصى ، وكن منى قريباً ، وأحى ذكرى بلسانك ولتكن مودتى فى صدرك ، تيقظ من ساعات الغفلة ، واحكم فى لطيف الفطنة ، وكن لى راغباً راهباً ، وأمت قلبك فى الخشية لى وراع الليل لحق مسرتى ، وأظمىء نهارك ليوم الرى عندى ، نافس فى الخيرات جهدك ، واعترف بالخير حيث توجهت ، وقم فى الخلائق بنصيحتى ، واحكم فى عبادى بعدلى ، فقد نزلت عليك شفاء وسواس الصدور من مرض النسيان ، وجلاء الأبصار من غشاء الكلال ، ولا تكن حلسا(١) كأنك مقبوض ، وأنت حى تنفس .

يا عيسى ابن مريم . . ما آمنت بى خليقة إلا خشعت ، ولا

---

(١) الحلس : كساء يبسط تحت حر الثياب ، والمقصود : لا تلزم حالة واحدة .

خشعت لى إلا رجت ثوابى ، فأشهـــدك أنها آمنة من عقابى ، ما لم تغير أو تبدل سنتى .

يا عيسى ابن مريم البكر البتول . . إبك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل وقلا الدنيا ، واترك اللذات لأهلها وارتفعت رغبته فيما عند إلهـــه ، وكن فى ذلك تلين الكلام وتفشى السلام ، وكن يقظان إذا نامت عيون الأبرار ، حذار ما هو آت من أمر المعاد ، وزلازل شدائد الأهوال ، قبل أن لا ينفع أهل ولا مال ، واكحل عينك بملول(١) الحزن إذا ضحك البطالون ، وكن فى ذلك صابراً محتسباً ، وطوبى لك إن نالك ما وعدتُ الصابرين ، ارج من الدنيا بالله يوم يبعثون ، وذق مذاقة ماقدحرب(٢)منك : أين طعمه ، وما لم يأتك كيف لذته ، فرح من الدنيا بالبلغة ، وليكفك منها الخشن الجشيب(٣) قد رأيت إلى ما يصير ، اعمل على حساب ، فإنك مسئول ، لو رأت عيناك ما أعددت لأوليائى الصالحين ، ذاب قلبك وزهقت نفسك ! . »

وقال أبو داود فى كتاب القدر : « حدثنا محمد بن يحي ابن

---

(١) الملول : المرود الذى يكتحل به . (٢) حُرب : أخذ عنوة .

(٣) أى الغليظ .

فارس ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهرى ، عن ابن طاووس ، عن أبيــه ، قال : لقى عيسى ابن مريم إبليس ، فقال : « أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب لك ؟ قال إبليس : فأوف بذروة هذا الجبل فتردى منه ، فانظر هل تعيش أم لا » . فقال ابن طاووس : عن أبيه : فقال عيسى : أما علمت أن الله تعالى قال : « لا يجربنى عبدى ، فإنى أفعل ما شئت » ؟ !

وقال الزهرى : إن العبد لا يبتلى ربه ، ولكن الله يبتلى عبده .

وقال أبو داوود : حدثنا أحمد بن عبدة ، أنبأنا سفيان ، عن عمرو ، عن طاووس قال: أتى الشيطان عيسى ابن مريم، فقال : أليس تزعم أنك صادق ؟ فأت هوة فألق نفسك .

قال : ويلك . . أليس قال : « يا ابن آدم . . لا تسألنى هلاك نفسك ، فإنى أفعل ما أشاء ! » .

وحــدثنا أبو توبة [الربيع بن نافع] ، حدثنا حسين بن طلحة ، سمعت خالد ابن يزيد ، قال : تعبد الشيطان مع عيسى عشر سنين ـ أو سنتين ، أقام يوما على شفير جبل ، فقال الشيطان : أرأيت إن ألقيت نفسى ، هل يصيبنى إلا ما كتب لى ؟ .

فقال : إنى لست بالذى أبتلى ربى ، ولكن ربى إذا شاء ابتلانى .

وعرفه أنه الشيطان ففارقه .

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنا شريح بن يونس ، حدثنا على بن ثابت ، عن الخطاب بن القاسم ، عن أبى عثمان : كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل ، فأتاه إبليس فقال : أنت الذى تزعم أن كل شىء بقضاء وقدر ؟

قال : نعم . قال : ألق نفسك من هذا الجبل ، وقل قدّر على .

فقال : يا لعين . . الله يختبر العباد ، وليس العباد يختبرون الله عز وجل .

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنا الفضل بن موسى البصرى ، حدثنا إبراهيم بن بشار سمعت سفيان بن عيينة ، يقول : لقى عيسى ابن مريم إبليس فقال له إبليس : يا عيسى ابن مريم . . الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت فى المهد صبيا ، ولم يتكلم فيه أحد قبلك .

قال : بل الربوبية للإله الذى أنطقنى ، ثم يميتنى ، ثم يحيينى .

قال : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحي الموتى .

قال : بل الربوبية لله الذى يحي ويميت من أحييت ثم يحييه .

قال : والله إنك لإله فى السماء وإله فى الأرض .

قال : فصكه جبريل صكة بجناحية فما نباها دون قرون الشمس . ثم صكه أخرى بجاحيه فما نباها دون العين الحامية ، ثم صكه أخرى فأدخاه بحار السابعة فأساخه ، وفى رواية : فأسلكه فيها ، حتى وجد طعم الحمأة فخرج منها ، وهو يقول : ما لقى أحد من أحد ما لقيت منك يا ابن مريم .

وقد روى نحو هذا بأبسط منه ، من وجه آخر ، فقال الحافظ أبو بكر الخطيب : أخبرنى أبو الحسن بن رزقوية ، أنبأنا أبو بكر أحمد ابن سيدى ، حدثنا أبو محمد الحسن بن على القطان ، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار ، أنبأنا على بن عاصم ، حدثنى أبو سلمة سويد ، عن بعض أصحابه ، قال :

صلى عيسى ببيت المقدس فانصرف ، فلما كان ببعض العقبة عرض له إبليس فاحتبسه ، فجعل يعرض عليه ويكلمه ، ويقول له : إنه لا ينبغى لك أن تكون عبداً . فأكثر عليه وجعل

عيسى يحرص على أن يتخلص منه ، فجعل لا يتخلص منه ، فقال له فيما يقول : لا ينبغى لك يا عيسى أن تكون عبداً . قال : فاستغاث عيسى بربه ، فأقبل جبريل وميكائيل فلما رآهما إبليس كف ، فلما استقر معه على العقبة اكتنفا عيسى وضرب جبريل إبليس بجناحه فقذفه فى بطن الوادى ، قال : فعاد إبليس معه وعلم أنهما لم يؤمرا بغير ذلك . فقال لعيسى : قد أخبرتك أنه لا ينبغى أن تكون عبداً ، إن غضبك ليس بغضب عبد ، وقد رأيت ما لقيت منك حين غضبت ، ولكن أدعوك لأمر هو لك : آمر الشياطين فليطيعوك ، فإذا رأى البشر أن الشياطين أطاعوك عبدوك ، أما إنى لا أقول أن تكون إلها ليس معه إله ، ولكن الله يكون إلها فى السماء ، وتكون أنت إلهاً فى الأرض . فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث بربه ، وصرخ صرخة شديدة ، فإذا إسرافيل قد هبط فنظر إليه جبريل وميكائيل ، فكف إبليس ، فلما استقر معهم ضرب إسرافيل إبليس بجناحه ، فصك به عين الشمس ، ثم ضربه ضربة أخرى فأقبل إبليس يهوى ، ومر عيسى وهو بمكانه ، فقال : يا عيسى .. لقد لقيت فيك اليوم تعباً شديداً .. فرمى به فى عين الشمس ، فوجد سبعة أملاك عند العين الحامية ، قال :

فغطوه ، فجعل كلما خرج غطوه فى تلك الحمأة قال : والله ما عاد إليه بعد » .

قال : وحدثنا إسماعيل العطار ، حدثنا أبو حذيفة ، قال : واجتمع إليه شياطينه ، فقالوا : سيدنا . . لقد لقيت تعبا ، قال : إن هذا عبد معصوم ، ليس لى عليه من سبيل ، وسأضل به بشراً كثيراً ، وأبث فيهم أهواء مختلفة ، وأجعلهم شيعاً ، ويجعلونه وأمه إلهين من دون الله » .

قال : « وأنزل الله مما أيد به عيسى وعصمه من إبليس قرآنا ناطقاً ، يذكر نعمته على عيسى ، فقال : ﴿ يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ﴾[1] يعنى إذ قويتك بروح القدس ، يعنى جبريل ﴿تكلم الناس فى المهد وكهلا . وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير . . ﴾[2] الآية كلها .

وإذ جعلت المساكين لك بطانة وصحابة وأعوانا ترضى بهم، وصحابة وأعوانا يرضون بك هاديا وقائداً إلى الجنة، فذلك

(١ ، ٢) المائدة : ١١٠ .

فاعلم خلقان عظيمان ، من لقينى بهما فقد لقينى بأزكى الخلائق وأرضاها عندى .

وسيقول لك بنو إسرائيل: صمنا فلم يُتقبل صيامنا ، وصلينا فلم تقبل صلاتنا ، وتصدقنا فلم تقبل صدقاتنا ، وبكينا بمثل حنين الجمال فلم يُرحم بكاؤنا . فقل لهم : ولم ذاك ؟ وما الذى يمنعنى ؟ إن[1] ذات يدى قلت . . أوَ ليس خزائن السموات والأرض بيدى ، أنفق منها كيف أشاء . أو أن البخل يعترينى[2] أوَ لست أجود من سئل ، وأوسع من أعطى ! ؟ أوَ أن رحمتى ضاقت وإنما يترحم المتراحمون بفضل رحمتى ! ؟

ولولا أن هؤلاء القوم يا عيسى ابن مريم غروا أنفسهم بالحكمة التى تورث فى قلوبهم ، ما استأثروا به الدنيا أثرة على الآخرة لعرفوا من أين أتوا ، وإذن لأيقنوا أن أنفسهم هى أعدى الأعداء لهم .

وكيف أقبل صيامهم وهم يتقوون عليه بالأطعمة الحرام .

---

(١) إن بمعنى « ما » ، كقوله تعالى . « وإن أدرى لعله فتنة لكم » والمعنى « ماذات يدى قلت » .

(٢) استفهام على وجه الإنكار .

وكيف أقبل صلاتهم : وقلوبهم تركن إلى الذين يحاربونى ويستحلون محارمى .

وكيف أقبل صدقاتهم ، وهم يغضبون الناس عليهم فيأخذونها من غير حلها .

يا عيسى . . إنما أجزى عليها أهلها ، وكيف أرحم بكاءهم وأيديهم تقطر من دماء الأنبياء ؟

ازددت عليهم غضبا يا عيسى ، وقضيت يوم خلقت السموات : أنه من عبدنى وقال فيكما بقولى ، أن أجعلهم جيرانك فى الدار ، ورفقاءك فى المنازل ، وشركاءك فى الكرامة .

وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنه من اتخذك وأمك إلهين من دون الله أن أجعلهم فى الدرك الأسفل من النار .

وقضيت يوم خلقت السموات والأرض أنى مثبت هذا الأمر على يَدَىْ عبدى محمد ، وأختم به الأنبياء والرسل ، ومولده بمكة ، ومهاجره بطيبة ، وملكه بالشام ، ليس بفظ ولا سخاب(١) فى الأسواق ، ولا يتزين بالفحش ، ولا قوّال

(١) فى رواية «صخاب» .

بالخنا ، أسدده لكل أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل التقوى ضميره ، والحكم معقوله ، والوفاء طبيعته والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والإسلام ملته ، اسمه أحمـــد ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأغنى به بعد العائلة ، وأرفع به بعد الضعة ، أهـــدى به ، وأفتح به بين آذانا صما وقلوباً غلفا ، وأهواء مختلفة متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر : إخلاصا لإسمى ، وتصديقا لما جاءت به الرسل ، ألهمهم التسبيح والتقديس ، والتهليل فى مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومتقلبهم ومثواهم ، يصلون لى قياماً وقعوداً ، وركعاً وسجوداً ، ويقاتلون فى سبيلى صفوفاً وزحوفا قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم فى صدورهم ، وقربانهم فى بطونهم[1] ، رهبان بالليل ، ليوث فى النهار ، ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم »

وسنذكر ما يصدق كثيراً من هذا السياق ، مما سنورده من سور : المائدة والصف إن شاء الله ، وبه الثقة .

وقد روى أبو حذيفة [إسحاق بن بشر] بأسانيده عن كعب

---

(١) كناية عن أنهم لا يدخرون شيئا .

الأحبار ، ووهب بن منبه ، وابن عباس ، وسلمان الفارسى ، دخل حديث بعضهم فى بعض، قالوا : « لما بعث عيسى ابن مريم وجاءهم بالبينات ، جعل المنافقون والكافرون من بنى إسرائيل يعجبون منه ، ويستهزئون به، فيقولون : ما أكل فلان البارحة، وما ادخر فى منزله ؟ فيخبرهم ، فيزداد المؤمنون إيمانا ، والكافرون والمنافقون شكا وكفرانا .

وكان عيسى مع ذلك ليس له منزل يأوى إليه ، إنما يسيح فى الأرض ، ليس له قرار ولا موضع يعرف به ، فكان أول ما أحيا من الموتى : أنه مر ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهى تبكى، فقال لها : مالك أيتها المرأة ؟ فقالت : ماتت ابنة لى ، لم يكن لى ولد غيرها ، وإنى عاهدت ربى أن لا أبرح من موضعى هذا حتى أذوق ما ذاقت من الموت ، أو يحييها الله لى ، فأنظر إليها . فقال لها عيسى : أرأيت إن نظرت إليها ، أراجعة أنت ؟ قالت : نعم. قالوا : فصلى ركعتين ، ثم جاء فجلس عند القبر فنادى : يا فلانة . . قومى بإذن الله الرحمن فاخرجى، قال : فتحرك القبر ، ثم نادى الثانية فانصدع القبر بإذن الله ، ثم نادى الثالثة ، فخرجت وهى تنفض رأسها من التراب ، فقال لها عيسى : ما أبطأ بك عنى ؟ فقالت : لما جاءتنى الصيحة الأولى ، بعث الله لى ملكاً فركب خلقى ،

ثم جاءتني الصيحة الثانية فرجع إلىّ روحي ، ثم جاءتني الصيحة الثالثة فخفت أنها صيحة القيامة، فشاب رأسي وحاجباي وأشفار عيني من مخافة القيامة ، ثم أقبلت على أمها فقالت : يا أماه .. ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين ؟ يا أماه .. اصبري واحتسبي، فلاحاجة لي في الدنيا . يا روح الله وكلمته .. سل ربي أن يردني إلى الآخرة ، وأن يهون علىّ كرب الموت ، فدعا ربه فقبضها إليه واستوت عليها الأرض . فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضبا » .

وقدمنا في عقب قصة نوح أن بني إسرائيل سألوه أن يحيي لهم سام بن نوح ، فدعا الله عز وجل وصلى لله ، فأحياه الله لهم فحدثهم عن السفينة وأمرها ، ثم دعا ، فعاد ترابا .

وقد روى السدىّ عن أبي صالح وأبي مالك . عن ابن عباس ، في خبر ذكره ، وفيه « أن ملكا من ملوك بني إسرائيل مات وحمل على سريره ، فجاء عيسى عليه السلام ، فدعا الله عز وجل، فأحياه الله عز وجل، فرأى الناس أمراً هائلا ومنظراً عجيبا.

وقال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ، إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد وكهلا ، وإذ علمتك الكتاب

والحكمة والتوراة والإنجيل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى، وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى ، وإذ تخرج الموتى بإذنى ، وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين . وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا : آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾[1] .

يذكره تعالى بنعمته عليه وإحسانه إليه فى خلقه إياه من غير أب ، بل من أم بلا ذكر ، وجعل له آية للناس ودلالة على كمال قدرته تعالى ، ثم إرساله بعد هذا كله . ﴿ وعلى والدتك ﴾ فى اصطفائها واختيارها لهذه النعمة العظيمة، وإقامة البرهان على براءتها مما نسبها إليه الجاهلون ، ولهذا قال ﴿ إذ أيدتك بروح القدس ﴾ وهو جبريل ، بإلقاء روحه إلى أمه ، وقرنه معه فى حال رسالته ومدافعته عنه لمن كفر به ﴿ تكلم الناس فى المهد وكهلا ﴾ أى تدعو الناس إلى الله فى حال صغرك فى مهدك وفى كهولتك ﴿ وإذ علمتك الكتاب[2] والحكمة ﴾ أى الخط والفهم ، نص عليه بعض السلف ﴿ والتوراة والإنجيل ﴾

(١) المائدة : ١١٠ — ١١١ .

(٢) الكتاب بمعنى الكتابة ، والحكمة معروفة ، وقوله تعالى : « والتوراة والإنجيل » يفيد أن التوراة والإنجيل شىء غير الكتاب والحكمة .

وقوله : ﴿ وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى ﴾ أى تصوره وتشكله من الطين على هيئة الطير، على أمر الله له بذلك ﴿ فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى ﴾ أى بأمرى، يؤكد تعالى بذكر الإذن له فى ذلك : الرفع التوهم .

وقوله : ﴿ وتبرىء الأكمه ﴾ قال بعض السلف: وهو الذى يولد أعمى ولا سبيل لأحد من الحكماء إلى مداواته ﴿ والأبرص ﴾ هو الذى لا طب فيـــه ، بل قد مرض بالبرص ، وصار داؤه عضالا ﴿ وإذ تخرج الموتى ﴾ أى من قبورهم أحياء بإذنى . وقد تقدم ما فيه دلالة على وقوع ذلك مرارا متعددة بما فيه كفاية .

وقوله ﴿ وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن[1] هذا إلا سحر مبين ﴾ وذلك حين أرادوا صلبه ، فرفعه الله إليه ، وأنقذه من بين أظهرهم : صيانة لجنابه الكريم من الأذى ، وسلامة له من الردى .

وقوله: ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾ قيل المراد بهذا الوحى وحى إلهام ، أى أرشدهم الله إليه ودلهم عليه كما قال : ﴿ وأوحى ربك

---

(١) إن بمعنى « ما » .

النحل ﴾[1] ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم﴾[2]. وقيل: المراد وحى بواسطة الرسول، وتوفيق فى قلوبهم لقبول الحق، ولهذا استجابوا قائلين: ﴿ آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾.

وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم أن جعل له أنصارا وأعوانا ينصرونه ويدعون معه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى لعبده محمد ﷺ ﴿ هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين. وألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل. ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم، إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين، ومصدقاً لما بين يدىّ من التوراة، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم، وجئتكم بآية من

---

(1) النحل: ٦٨.   (2) القصص: ٧   (3) الأنفال ٦٢ – ٦٣.

ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم. فلما أحس عيسى منهم الكفر، قال : من أنصاري إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله، واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾(١) .

كانت معجزة كل نبي فى زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان، فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه ، وكانوا سحرة أذكياء ، فبعث بآيات بهرت الأبصار ، وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر، وما ينتهى إليه ، وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذى لا يمكن صدوره إلا عمن أيده الله ، وأجرى الخارق على يديه تصديقاً له ، أسلموا سراعاً ولم يتلعثموا .

وهكذا عيسى ابن مريم بعث فى زمن الطبائعية الحكماء ، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها ، وأنىّ لحكيم إبراء الأكمه الذى هو أسوأ حالا من الأعمى، والأبرص والمجذوم

---

(١) آل عمران : ٤٨ — ٥٤ .

ومن به مرض مزمن ؟ وكيف يتوصل أحد من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره ؟

هذا مما يعلم كل أحد معجزة دالة على صدق من قامت به ، وعلى قدرة من أرسله .

وهكذا محمد ﷺ وعليهم أجمعين ، بعث فى زمن الفصحاء البلغاء ، فأنزل الله عليه القرآن العظيم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فلفظه معجز ، تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة ، وقطع عليهم بأنهم لا يقدرون ، لا فى الحال ولا فى الاستقبال ، فإن لم يفعلوا ، ولن يفعلوا ، وما ذاك إلا أنه كلام الخالق عز وجل ، والله تعالى لا يشبهه شىء ، فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

* * *

والمقصود أن عيسى عليه السلام لما أقام عليهم الحجج والبراهين : استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم ، فانتدب له من بينهم طائفة صالحة ، فكانوا له أنصارا

وأعوانا ، قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته ، وذلك حين همّ به بنو إسرائيل ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان ، فعزموا على قتله وصلبه ، فأنقذه الله منهم ، ورفعه إليه من بين أظهرهم ، وألقى شبهه على أحد أصحابه ، فأخذوه فقتلوه وصلبوه ، وهم يعتقدونه عيسى ، وهم فى ذلك غالطون ، وللحق مكابرون ، وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه ، وكلا الفريقين فى ذلك مخطئون .

قال تعالى ﴿ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين﴾(١) وقال تعالى : ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ، ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين . ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام ، والله لا يهدى القوم الظالمين . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾(٢) إلى أن قال بعد ذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى

---

(١) آل عمران : ٥٤ .

(٢) الصف : ٦ – ٨ .

إلى الله ، قال الحواريون : نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾(١) .

فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد قام فيهم خطيباً فبشرهم بخاتم الأنبياء الآتي بعده ، ونوه باسمه ، وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه إذا شاهدوه ، إقامة للحجة عليهم ، وإحساناً من الله إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون ﴾(٢) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد ابن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : « يا رسول الله أخبرنا عن نفسك . قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور

---

(١) الصف : ١٤ .　　(٢) الأعراف : ١٥٧ .

بصرى من أرض الشام »[1] .

وقد روى عن العرباض بن سارية ، وأبى أمامة عن النبى ﷺ نحو هذا وفيه : « دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ، وذلك أن إبراهيم لما بنى الكعبة قال : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾[2] .

ولما انتهت النبوة فى بنى إسرائيل إلى عيسى قام فيهم خطيباً، فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم ، وأنها بعده فى النبى العربى الأمى، خاتم الأنبياء على الإطلاق «أحمد» ، وهو محمد بن عبدالله ابن عبد المطلب بن هاشم ، الذى هو من سلالة إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليه السلام .

قال الله تعالى : ﴿ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ يحتمل عود الضمير إلى عيسى عليه السلام ، ويحتمل عوده إلى محمد ﷺ .

ثم حرض تعالى عباده المؤمنين على نصرة الإسلام وأهله

---

(١) قال ابن كثير — بعد أن ذكر هذا الحديث فى تفسير سورة الصف — « وهذا إسناد جيد وروى له شواهد من وجوه أخر» .

(٢) البقرة : ١٢٩ .

ونصرة نبيه ومؤازرته ومعاونته على إقامة الدين ونشر الدعوة فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ﴾ أى من يساعدنى فى الدعوة إلى الله ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ وكان ذلك فى قرية يقال لها الناصرة(١) فسموا بذلك النصارى، قال الله تعالى ﴿ فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة ﴾ يعنى لما دعا عيسى بنى إسرائيل وغيرهم إلى الله تعالى، منهم من آمن ومنهم من كفر، وكان ممن آمن به أهل «أنطاكية» بكمالهم، فيما ذكره غير واحد من أهل السير والتواريخ والتفسير، بعث إليهم رسلا ثلاثة، أحدهم «شمعون» الصفا فآمنوا واستجابوا، وليس هؤلاء هم المذكورون فى سورة يس، لما تقدم تقريره فى قصة أصحاب القرية، وكفر آخرون من بنى إسرائيل وهم جمهور اليهود، فأيد الله من آمن به على من كفر فيما بعد، وأصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم، كما قال تعالى: ﴿ إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل

---

(١) اسم القـــرية «نصرانة» كما فى القاموس، ولو كان اسمها «الناصرة» لكانت النسبة إليها ناصريون، لا نصارى، وإنما تصح النسبة بهذا الاسم الذى ذكره صاحب القاموس.

الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾(١) الآيه .
فكل من كان إليه أقرب كان غالباً لمن دونه .

ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذى لا شك فيه ، من أنه عبد الله ورسوله ، كانوا ظاهرين على النصارى ، الذين غلوا فيه وأطروه ، وأنزلوه فوق ما أنزله الله به .

ولما كان النصارى أقرب - فى الجملة - مما ذهب إليه اليهود فيه ، عليهم لعائن الله ، كان النصارى قاهرين لليهود فى أزمان الفترة إلى زمن الإسلام وأهله .

* * *

---

(١) آل عمران : ٥٥ .

ذكر خبر المائدة

قال الله تعالى: ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء، قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك، وارزقنا وأنت خير الرازقين. قال الله إني منزلها عليكم، فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾(١).

قد ذكرنا في التفسير الآثار الواردة في نزول المائدة عن ابن عباس، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وغيرهم من السلف.

ومضمون ذلك: أن عيسى عليه السلام، أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوما، فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة

(١) المائدة: ١١١ - ١١٥.

من السماء عليهم ، ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبتهم ، وتكون لهم عيداً يفطرون عليها يوم فطرهم ، وتكون كافية لأولهم وآخرهم : لغنيهم وفقيرهم .

فوعظهم عيسى عليه السلام فى ذلك ، وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها ، فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل .

فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مِسْحا[1] من شعر ، وصف بين قدميه ، وأطرق رأسه ، وأسبل عينيه بالبكاء ، وتضرع إلى الله فى الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا .

فأنزل الله تعالى المائدة من السماء ، والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين ، وجعلت تدنو قليلاً قليلاً ، وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة ، وأن يجعلها بركة وسلامة . فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدى عيسى عليه السلام ، وهى مغطاة بمنديل ، فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول : « بسم الله خير الرازقين » فإذا عليها سبعة من الحيتان ، وسبعة

---

(١) بكسر الميم وسكون السين : ثوب من الشعر غليظ والجمع أمساح ومسوح .

أرغفة . ويقال : وخل ، ويقال : ورمان ، وثمار ، ولها رائحة عظيمة جدا » .

قال الله كوني فكانت .

ثم أمرهم بالأكل منها ، فقالوا : لا نأكل حتى تأكل . فقال : إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها . فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء . فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى ، وكانوا قريبا من الألف وثلاثمائة ، فأكلوا منها . فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن ، فندم الناس على ترك الأكل منها . لما رأوا من إصلاح حال أولئك . ثم قيل : إنها كانت تنزل كل يوم مرة ، فيأكل الناس منها ، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم ، حتى قيل إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف .

ثم كانت تنزل يوما بعد يوم ، كما كانت ناقة صالح ، يشربون لبنها يوما بعد يوم .

ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج دون الأغنياء . فشق ذلك على كثير من الناس ، وتكلم منافقوهم في ذلك فرفعت بالكلية ، ومسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير .

وقد روى ابن أبي حاتم وابن جرير جميعا ، حدثنا الحسن بن

قزعة الباهلي، حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن خلاس، عن عمار بن ياسر، عن النبي ﷺ، قال: «نزلت المائدة من السماء: خبز ولحم، وأمروا أن لا يخونوا، ولا يدخروا، ولا يرفعوا لغد، فخانوا، وادخروا، ورفعوا، فمسخوا قردة وخنازير».

ثم رواه ابن جرير عن بُنْدار، عن ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن خلاس، عن عمار: موقوفا. وهذا أصح.

وكذا رواه من طريق سِمَاك، عن رجل من بني عجل، عن عمار موقوفا. وهو الصواب. والله أعلم.

وخلاس عن عمار منقطع، فلو صح هذا الحديث مرفوعا، لكان فيصلا في هذه القصة، فإن العلماء اختلفوا في المائدة: هل نزلت أم لا؟ فالجمهور أنها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار، كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن، ولا سيما قوله: ﴿إني منزلها عليكم﴾ كما قرره ابن جرير.. والله أعلم.

وقد روى ابن جرير بإسناد صحيح إلى مجاهد، وإلى الحسن ابن أبي الحسن البصري، أنهما قالا لم تنزل، وأنهم أبوا نزولها حين

قال : ﴿ فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ .

ولهذا قيل إن النصارى لا يعرفون خبر المائدة ، وليس مذكورا فى كتابهم ، مع أن خبرها مما تتوافر الدواعى على نقله .. والله أعلم .

وقد تقصينا الكلام على ذلك فى التفسير ، فليكتب من هناك ومن أراد مراجعته فلينظره مِن ثَمّ . ولله الحمد والمنة .

* * *

فصل

قال أبو بكر بن أبى الدنيا : حدثنا رجل (سقط اسمه) حدثنا حجاج بن محمد . حدثنا أبو هلال محمد بن سليمان ، عن بكر ابن عبد الله المزنى ، قال : فقد الحواريون نبيهم عيسى ، فقيل لهم : توجه نحو البحر ، فانطلقوا يطلبونه ، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو يمشى على الماء ، يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى ، وعليه كساء ، مرتد بنصفه ومؤتزر بنصفه ، حتى انتهى إليهم ، فقال له بعضهم (قال أبو هلال ظننت أنه من أفاضلهم) : ألا أجىء إليك يانبى الله؟ قال : بلى . قال : فوضع إحدى رجليه على الماء ، ثم ذهب ليضع

الأخرى فقال : أوه .. غرقت يا نبي الله . فقال : أرني يدك يا قصير الإيمان ، لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة ، مشى على الماء !

ورواه أبو سعيد بن الأعرابي، عن إبراهيم بن أبي الجحيم ، عن سليمان بن حرب ، عن أبي هلال عن بكر ، بنحوه .

ثم قال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن علي بن الحسن ابن سفيان ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، عن الفضيل بن عياض ، قال: قيل لعيسى بن مريم : يا عيسى .. بأي شيء تمشي على الماء ؟ قال : بالإيمان واليقين . قالوا : فإنا آمنا كما آمنت ، وأيقنا كما أيقنت . قال : فامشوا إذن . قال : فمشوا معه في الموج فغرقوا ، فقال لهم عيسى : ما لكم ؟!

فقالوا : خفنا الموج .

قال : ألا خفتم رب الموج ؟!

قال : فأخرجهم ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض بها ثم بسطها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر — أو حصى — فقال : أيهما أحلى في قلوبكم ؟ قالوا : هذا الذهب . قال : فإنهما عندي سواء !

وقدمنا فى قصة يحيى بن زكريا عن بعض السلف : أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ، ويأكل من ورق الشجر ، ولا يأوى إلى منزل ، ولا أهل ولا مال ، ولا يدخر شيئا لغد .

قال بعضهم : كان يأكل من غزل أمه صلوات الله وسلامه عليه .

وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال : كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ، ويقول : لا ينبغى لابن مريم أن يذكر عنده الساعة ويسكت .

وعن عبد الملك بن سعيد بن أبجر : أن عيسى كان إذا سمع الموعظة صرخ صراخ الثكلى .

وقال عبد الرازق : أنبأنا معمر ، حدثنا جعفر بن بلقان . أن عيسى كان يقول :

« اللهم إنى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ، ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيرى . وأصبحت مرتهنا بعملى ، فلا فقير أفقر منى !

اللهم لا تشمت بى عدوى ، ولا تسؤ بى صديقى ، ولا تجعل مصيبتى فى دينى ، ولا تسلط علىّ من لا يرحمنى » .

وقال الفضيل بن عياض ، عن يونس بن عبيد : « كان عيسى

يقول : لا يصيب أحد حقيقة الإيمان حتى لا يبالى من أكل الدنيا » !

قال الفضيل : وكان عيسى يقول : فسكرت فى الخلق ، فوجدت من لم يُخلق أغبط عندى ممن خلق !

وقال إسحاق بن بشر ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، قال : إن عيسى رأس الزاهدين يوم القيامة .

قال : وإن الفرارين بذنوبهم، يحشرون يوم القيامة مع عيسى.

قال : وبينما عيسى يوما نائم على حجر قد توسده ، وقد وجد لذة النوم، إذ مر به ابليس ، فقال : يا عيسى . . ألست تزعم أنك لا تريد شيئا من عرض الدنيا ؟ فهذا الحجر من عرض الدنيا .

قال: فقام عيسى فأخذ الحجر فرمى به إليه وقال: هذا لك مع الدنيا!

وقال معتمر بن سليمان : خرج عيسى على أصحابه وعليه جبة صوف وكساء وتبان(1) حافيا باكيا شعثا ، مصفر اللون من الجوع ، يابس الشفتين من العطش ، فقال : السلام عليكم يا بنى إسرائيل ، أنا الذى أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله ، ولا عجب ولا فخر ، أتدرون أين بيتى ؟

فقالوا : أين بيتك يا روح الله ؟

---

(1) التبان : بضم التاء : يشبه السراويل ، وهو صغير يستر العورة ، وقد يكون للملاحين .

قال : بيتي المساجد ، وطيبي الماء ، وإدامي الجوع ، ومراجي القمر بالليل ، وصلاتي في الشتاء : مشارق الشمس ، وريحاني : بقول الأرض ، ولباسي الصوف ، وشعاري خوف رب العزة ، وجلسائي : الزمنى والمساكين ، أصبح وليس لي شيء ، وأمسي وليس لي شيء ، وأنا طيب النفس ، غير مكترث ، فمن أغنى مني وأربح ؟!

رواه ابن عساكر .

وروى في ترجمة محمد بن الوليد بن أبان بن حبان [أبي الحسن العقيلي المصري] حدثنا هانيء بن المتوكل الإسكندراني ، عن حيوة ابن شريح ، حدثني الوليد بن أبي الوليد، عن شُفَي بن ماتع ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « أوحى الله تعالى إلى عيسى: أن يا عيسى ، انتقل من مكان إلى مكان لئلا تعرف فتؤذى ، فوعزتي وجلالي لأزوجنك ألف حوراء ولأولمن عليك أربعمائة عام » .

وهذا حديث غريب رفعه ، وقد يكون موقوفا ، من راويه شُفي بن ماتع ، عن كعب الأحبار أو غيره من الإسرائيليين . . والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن سفيان بن عيينة ، عن خلف

بن حوشب ، قال : قال عيسى للحواريين : « كما ترك لكم الملوك الحكمة ، كذلك فاتركوا لهم الدنيا » .

وقال قتادة : قال عيسى عليه السلام : « سلونى فإنى لين القلب ، وإنى صغير عند نفسى » .

وقال إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : قال عيسى للحواريين : كلوا خبز الشعير ، واشربوا الماء القَراح[1] واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين ، بحق ما[2] أقول لكم : إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ، وإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ، بحق ما[3] أقول لكم : إن شركم : عالم يؤثر هواه على علمه ، يود أن الناس كلهم مثله » .

وروى نحوه عن أبى هريرة .

قال أبو مصعب ، عن مالك ، إنه بلغه أن عيسى كان يقول : « يا بنى إسرائيل عليكم بالماء القراح ، والبقل البرير[4] وخبز الشعير ، وإياكم وخبز البر[5] ، فإنكم لن تقوموا بشكره » .

---

(١) بفتح القاف ، أى الذى لا يخالطه شىء .

(٢ ، ٣) «ما» بمعنى « الذى » .

(٤) البرير : هو فى الأصل ثمر الأراك إذا اشتد ، وأراد هنا : البقل الشديد ، والله أعلم . (٥) البر : جمع برة : من القمح .

وقال ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، قال : كان عيسى يقول : « اعبروا الدنيا ولا تعمروها » .

وكان يقول : « حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والنظر يزرع فى القلب الشهوة » .

وحكى وهيب بن الورد مثله ، وزاد : « ورُبَّ شهوة أورثت أهلها حزنا طويلا » .

وعن عيسى عليه السلام : « يا ابن آدم الضعيف .. اتق الله حيث ما كنت ، وكن فى الدنيا ضيفا ، واتخذ المساجد بيتا ، وعلم عينك البكاء ، وجسدك الصبر ، وقلبك التفكر ، ولا تهتم برزق غد ، فإنها خطيئة » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر داراً فلا يتخذ الدنيا قراراً » .

وفى هذا يقول سابق البربرى :

« لكم بيوت بمستن السيوف ، وهل
يبنى على الماء بيت أسه مدر[1] !

---

(١) المدر : التراب المتلبد .

وقال سفيان الثورى : قال عيسى ابن مريم : «لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة فى قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء » .

وقال إبراهيم الحربى ، عن داود بن رشيد ، عن أبى عبد الله الصوفى ، قال : قال عيسى : « طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله » .

وعن عيسى عليه السلام : « إن الشيطان مع الدنيا ، ومكره مع المال ، وتزينه مع الهوى ، واستمكانه عند الشهوات » .

وقال الأعمش عن خيثمة : « كان عيسى يضع الطعام لأصحابه ، ويقوم عليهم ، ويقول : هكذا فاصنعوا بالقرى [1] » .

وبه قالت امرأة لعيسى عليه السلام : « طوبى [2] لحجر حملك ، ولثدى أرضعك » فقال : « طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه » .

وعنه : « طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته ، وحفظ لسانه ووسعه بيته » .

وعنه : « طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية ، وانتبهت إلى غير إثم » .

---

(١) القرى : بكسر القاف ، الضيافه . (٢) اسم شجرة فى الجنة .

وعن مالك بن دينار قال : «مر عيسى وأصحابه بجيفة، فقالوا : ما أنتن ريحها ، فقال : « ما أبيض أسنانها » . لينهاهم عن الغيبة .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : يحدثنا الحسين بن عبدالرحمن ، عن زكريا بن عدي ، قال : قال عيسى ابن مريم : « يا معشر الحواريين . . ارضوا بِدَنِيّ الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضي أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا » .

قال زكريا : وفي ذلك يقول الشاعر :

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا
ولا أراهم رضوا في العيش بالدَّون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال أبو مصعب ، عن مالك ، قال عيسى ابن مريم عليه السلام : « لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم ، فإن القلب القاسي بعيد عن الله ولكن لا تعلمون ، ولا تنظروا في ذنوب العباد ، كأنكم أرباب ، وانظروا فيها كأنكم عبيد ، فإنما الناس رجلان : معافى ومبتلى ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية » .

وقال الثوري : سمعت أبي يقول عن إبراهيم التيمي ، قال :

قال عيسى لأصحابه : « بحق أقول لكم . . من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم فى المزابل مع الكلاب كثير » .

وقال مالك دينار : قال عيسى : « إن أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب ، لقليل فى طلب الفردوس » .

وقال عبد الله بن المبارك : أنبأنا سفيان ، عن منصور عن سالم ابن أبى الجعد ، قال : قال عيسى : «اعملوا لله ، ولاتعملوا لبطونكم ، انظروا إلى هذه الطير تغدو وتروح : لا تحرث ولا تحصد ، والله يرزقها ، فإن قلتم نحن أعظم بطونا من الطير فانظروا إلى هذه الأباقير[1] من الوحوش والحمر ، فإنها تغدو وتروح : لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها » . اتقوا فضول الدنيا فإن فضول الدنيا عند الله رجز » .

وقال صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبد الله ، عن يزيد بن ميسرة قال : « قال الحواريون للمسيح : يامسيح الله . انظر إلى مسجد الله ما أحسنه . قال . آمين ، آمين . . بحق ماأقول لكم . لايترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً إلا أهلكه بذنوب أهله ، إن الله لا يصنع بالذهب ولا الفضة ولا بهذه الأحجار التى تعجبكم شيئا إن أحب إلى الله منها القلوب الصالحة ، وبها يعمر الله الأرض ، وبها يخرب الله الأرض ، إذا كانت على غير ذلك » .

(١) الأباقير ، لغة أهل اليمن فى البقر .

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه : أخبرنا أبو منصور بن محمد الصوفى ، أخبرتنا طائفة بنت الحسن بن إبراهيم الوركانية ، قالت : حدثنا أبو محمد : عبد الله بن عمر بن عبد الله ابن الهيثم إملاء ، حدثنا الوليد بن أبان إملاء ، حدثنا أحمد ابن جعفر الرازى ، حدثنا سهيل بن إبراهيم الحنظلى ، حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز ، عن المعتمر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ قال : « مر عيسى عليه السلام على مدينة خربة ، فأعجبه البنيان ، فقال : أى رب . . مر هذه المدينة أن تجيبنى . . فأوحى الله إلى المدينة : أيتها المدينة الخربة جاوبى عيسى قال : فنادت المدينة : عيسى حبيبى ، وما تريد منى ؟ قال : ما فعل أشجارك ؟ وما فعل أنهارك ؟ وما فعل قصورك ؟ وأين سكانك ؟

قالت : حبيبى .. جاء وعد ربك الحق ، فيبست أشجارى ونضبت أنهارى ، وخربت قصورى ، ومات سكانى . قال : فأين أموالهم ؟ فقالت : جمعوها من الحلال والحرام ، موضوعة فى بطنى ؛ لله ميراث السموات والأرض . قال : فنادى عيسى عليه السلام : تعجبت من ثلاث أناس : طالب الدنيا والموت يطلبه ؛ وبانى القصور والقبر منزله ، ومن يضحك ملء فيه ، والنار أمامه ! ابن آدم . . لا بالكثير تشبع ، ولا بالقليل تقنع ، تجمع

مالك لمن لا يحمدك ، وتقدم على رب لا يعذرك ؛ إنما أنت عبد بطنك وشهوتك ، وإنما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك ، وأنت يا ابن آدم ترى حشد مالك فى ميزان غيرك . » هذا حديث غريب جدا ، وفيه موعظة حسنة ، فكتبناه لذلك .

وقال سفيان الثورى ، عن أبيه ، عن إبراهيم التيمى : « قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين . اجعلوا كنوزكم فى السماء فإن قلب الرجل حيث كنزه » .

وقال ثور بن زيد ، عن عبد العزيز بن ظبيان ، قال عيسى ابن مريم عليه السلام : «من تعلم وعلم وعمل : دُعى عظيما فى ملكوت السماء » .

وقال أبو كريب ، روى أن عيسى عليه السلام قال : « لا خير فى علم لا يعبر معك الوادى ، ويعبر بك النادى[1] » .

وروى ابن عساكر — بإسناد غريب — عن ابن عباس ، مرفوعا : أن عيسى قام فى بنى إسرائيل فقال: «يا معشر الحواريين. لا تحدثوا بالحِكَم غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم .

---

(١) النادى : مجلس القوم ومتحدثهم .

والأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف عليكم فيه ، فردوا علمه إلى الله عز وجل » .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر، عن رجل ، عن عكرمة ، قال: « قال عيسى : « لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير : فإن الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئا ، ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها ، فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ؛ ومن لا يريدها شر من الخنزير » !

وكذا حكى وهب وغيره عنه ، أنه قال لأصحابه : « أنتم ملح الأرض ، فإذا فسدتم فلا دواء لكم ، وإن فيكم خصلتين من الجهل : الضحك من غير عجب ، والصبحة[1] من غير سهر » .

ومنه أنه قيل له : من أشد الناس فتنة ؟

قال : زلة العالِم ، فإن العالمَ إذا زل زل بزلته عالمَ كثير»

وعنه أنه قال : « يا علماء السوء جعلتمُ الدنيا على رؤوسكم ، والآخرة تحت أقدامكم ، قولكم شفاء ، وعملكم داء ، مثلكم مثل شجرة الدفلى[2] تعجب من رآها ، وتقتل من أكلها » .

وقال وهب : قال عيسى « يا علماء السوء ، جلستم على أبواب

---

(١) أى نوم الصباح . (٢) الدفلى : شجر جميل المنظر ، سام .

الجنة ، فلا تدخلونها ، ولا تدعون المساكين يدخلونها ، إن شر الناس عند الله : عالم يطلب الدنيا بعلمه » .

وقال مكحول : التقى يحيى وعيسى ، فصافحه عيسى وهو يضحك ، فقال له يحيى : يا ابن خاله ، مالى أراك ضاحكا ، كأنك قد أمنتَ ؟

فقال له عيسى : مالى أراك عابسا كأنك قد يئست ؟

فأوحى الله إليهما : « إن أحبكما إلىّ أبشكما بصاحبه » .

وقال وهب بن منبه : وقف عيسى هو وأصحابه على قبر ، وصاحبه يدلّى فيه ، فجعلوا يذكرون القبر وضيقه ، فقال : قد كنتم فيما هو أضيق منه فى أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسع وسّع .

وقال أبو عمر الضرير : بلغنى أن عيسى كان إذا ذكر الموت : يقطر جلده دما .

والآثار فى مثل هذا كثيرة جداً .

وقد أورد الحافظ ابن عساكر منها طرفا صالحا ، اقتصرنا منها على هذا القدر .

والله الموفق للصواب .

ذكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء في حفظ الرب، وبيان كذب اليهود والنصارى في دعوى الصلب

قال الله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين. إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا. بل رفعه

(١) آل عمران: ٥٤ – ٥٥.

الله إليه ، وكان الله عزيزاً حكيما . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾[1] .

فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء بعد ما توفاه بالنوم[2] على الصحيح المقطوع به ، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة فى ذلك الزمان .

قال الحسن البصرى ومحمد بن إسحاق : كان اسمه داوود بن نورا فأمر بقتله وصلبه ، فحصروه فى دار ببيت المقدس ، وذلك عشية الجمعة : ليلة السبت ، فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ، ورفع عيسى من روزنة[3] من ذلك البيت إلى السماء ، وأهل البيت ينظرون ، ودخل الشُّرَطُ فوجدوا ذلك الشاب الذى ألقى عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى ، فصلبوه ، ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له ، وسلم لليهود عامة

---

(١) النساء ١٥٥ — ١٥٩ .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ ٦٠ — الأنعام .

ومنه قوله ﷺ فيما رواه الطبرانى « النوم أخو الموت ، ولا يموت أهل الجنة » والمقصود أنهم كما لا يموتون كذلك لا ينامون ، ورفع عيسى كان من هذا القبيل .

(٣) الروزنة : الكوة : فارسى معرب .

النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب ، وضلوا بسبب ذلك ضلالا مبينا كثيرا فاحشاً بعيداً .

وأخبر تعالى بقوله : ﴿ وإنّ من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته ﴾ أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان ، قبل قيام الساعة ، فإنه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الإسلام ، كما بينا ذلك بما ورد فيه من الأحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء كما أوردنا ذلك مستقصى فى كتاب « الفتن والملاحم » عند أخبار المسيح الدجال ، فذكرنا ما ورد فى نزول المسيح المهدى عليه السلام من ذى الجلال لقتل المسيخ الدجال الكذب الداعى إلى الضلال .

وهذا ذكر ما ورد فى الآثار فى صفة رفعه إلى السماء :

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان . حدثنا أبو معاوية ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفى البيت اثنا عشر رجلا منهم : من الحواريين [يعنى فخرج عليهم من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء] فقال : « إن منكم من يكفر بى اثنى عشرة مرة بعد أن آمن بى ، ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى فيكون معى فى درجتى ؟ فقام شاب من أحدثهم سنا ، فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال : أنا ، فقال : أنت هو ذاك .

فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء.

قال: وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشبه فقتلوه، ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثنى عشرة مرة بعد أن آمن به.

وافترقوا ثلاث فرق. فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء [وهؤلاء اليعقوبية].

وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه. [وهؤلاء النسطورية].

وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء، ثم رفعه الله إليه. [وهؤلاء المسلمون][1]. فتظاهرت الكافرتان على المسلمة، فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمداً ﷺ.

قال ابن عباس: وذلك قوله تعالى: ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين﴾[2].

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، على شرط مسلم.

ورواه النسائي عن أبي كريب، عن أبي معاوية به: نحوه.

---

(١) وهؤلاء هم أتباع عيسى الحقيقيون الذين دانو بالإسلام، إذا الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله، واتباع كل نبي جاء بها، وهذا هو المعنى من قوله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ فإن الله سبحانه وتعالى سيحاسب الناس على اتباع هذه الكلمة الشرفة، فمن دان بها نجا ومن خالفها هلك.

(٢) الصف: ١٤.

ورواه ابن جرير عن مسلم بن جنادة ، عن أبي معاوية .

وهكذا ذكر غير واحد من السلف .

وممن ذكر ذلك مطولا محمد بن إسحاق بن يسار .

قال وجعل عيسى عليه السلام يدعو الله عز وجل أن يؤخر أجله ، يعني ليبلغ الرسالة ، ويكمل الدعوة ، ويكثر الناس الدخول في دين الله .

قيل : وكان عنده من الحواريين اثنا عشر رجلا : « بطرس ، ويعقوب ابن زبدا ، ويحنس [أخو يعقوب] واندراوس ، وفلبس ، وأبرثلما ، ومتى ، وتوماس ، ويعقوب بن حلقيا ، وتداوس ، وفتانيا ، ويودس كريايوطا ، [وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى] .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم رجل آخر اسمه « سرجس » كتمته النصارى وهو الذي ألقى شبه المسيح عليه ، فصلب عنه .

قال : وبعض النصارى يزعم أن الذي صلب عن المسيح وألقى عليه شبهه هو يودس ابن كريايوطا . . والله أعلم .

وقال الضحاك عن ابن عباس : استخلف عيسى « شمعون » وقتلت اليهود « يودس » الذي ألقى عليه الشبه .

وقال أحمد بن مروان : حدثنا محمد بن الجهم ، قال : سمعت الفراء يقول في قوله : ﴿ ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين ﴾

قال : إن عيسى غاب عن خالته زمانا فأتاها ، فقام رأس الجالوت اليهودى ، فضرب على عيسى حتى اجتمعوا على باب داره ، فكسروا الباب ، ودخل رأس جالوت ليأخذ عيسى فطمس الله عينيه عن عيسى ، ثم خرج إلى أصحابه فقال : لم أره . ومعه سيف مسلول . فقالوا : أنت عيسى ، وألقى الله شبه عيسى عليه ، فأخذوه ، فقتلوه وصلبوه ، فقال جل ذكره : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القُمّى ، عن هارون بن عنترة ، عن وهب بن منبه قال : أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت ، فأحاطوا بهم ، فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم : سحرتمونا ، لتبرزن إلينا عيسى أو لنقتلنكم جميعا .

فقال عيسى لأصحابه : من يشترى منكم نفسه اليوم بالجنة ؟

فقال رجل : أنا . فخرج إليهم فقال : أنا عيسى . وقد صوره الله على صورة عيسى ، فأخذوه فقتلوه وصلبوه ، فمن ثم شبه لهم ، وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى ، فظنت النصارى مثل ذلك : أنه عيسى ، ورفع الله عيسى من يومه ذلك .

قال ابن جرير : وحدثنا المثنى ، حدثنا إسحاق ، حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، حدثنى عبد الصمد بن معقل ،

أنه سمع وهبا يقـول : إن عيسى ابن مريم لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا، جزع من الموت وشق عليه ، فدعا الحواريين ، وصنع لهم طعاما ، فقال : احضروني الليلة ، فإن لي إليكم حاجة . فلما اجتمعوا إليه من الليل عشـاهم ، وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام ، أخذ يغسل لهم أيديهم ويوضئهم بيده ، ويمسح أيديهم بثيابه ، فتعاظموا ذلك ، وتكارهوه ، فقال : من رد علي شيئا الليلة مما أصنع ، فليس مني ولا أنا منه . فأقروه ، حتى إذا فرغ من ذلك قال : أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام ، وغسلت أيديكم بيدي ، فليكن لكم بي أسوة ، فإنكم ترون أني خيركم ، فلا يتعظم بعضكم على بعض ، وليبذل بعضكم لبعض نفسه ، كما بذلت نفسي لكم ، وأما حاجتي التي استعنتكم عليها ، فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي .

فلما نصبوا أنفسهم للدعاء ، وأرادوا أن يجتهدوا أخذهم النوم ، حتى لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يوقظهم ويقول :

« سبحان الله . . أما تصبرون لي ليلة واحدة، تعينوني فيها» ؟

فقالوا : والله ما ندري ما لنا ، والله لقد كنا نسمر فنكثر السمر ، وما نطيق الليلة سمراً ، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه فقال : يذهبُ بالراعي وتتفرق الغنم ! وجعل يأتي بكلام نحو هذا ينعى به نفسه .

ثم قال : الحق ، ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات، وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة ، وليأ كلن ثمني .

فخرجوا وتفرقوا ، وكانت اليهود تطلبه، فأخذوا « شمعون » (أحد الحواريين) فقالوا: هذا من صحابه . فجحد ، وقال : ما أنا بصاحبه . فتركوه . ثم أخذه آخرون، فجحد كذلك، ثم سمع صوت ديك ، فبكى وأحزنه .

فلما أصبح أتى أحد الحواريين إلى اليهود، فقال : ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح ؟

فجعلوا له ثلاثين درهما ، فأخذها ودلهم عليه ، وكان شبه عليهم قبل ذلك ، فأخذوه واستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، وجعلوا يقودونه ويقولون : أنت كنت تحيي الموتى ، وتنتهر الشيطان ، وتبرىء المجنون ، أفلا تنجي نفسك من هذا الحبل ؟! ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ، حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه وصلبوا ما شبه لهم ، فمكث سبعا.

ثم إن أمه والمرأة التي كان يداويها عيسى فأبرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث كان المصلوب ، فجاءهما عيسى ، فقال : علام تبكيان ؟ قالتا : عليك . فقال : إني قد رفعني الله إليه ولم يصبني إلا خير ، وإن هذا شيء شبه لهم . فأمروا الحواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا . فلقوه إلى ذلك المكان أحد عشر ، وفقد

الذى كان باعه ، ودلّ عليه اليهود ، فسأل عليـه أصحابه ، فقالوا إنه ندم على ما صنع ، فاختنق وقتل نفسه . فقال : لو تاب لتاب الله عليه .

ثم سألهم عن غلام كان يتبعهم ، يقال له « يحيى » فقال : هو معكم ، فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم، فلينذرهم وليدعهم .

وهذا إسناد غريب عجيب ؛ وهو أصح مما ذكره النصارى ، لعنهم الله من أن المسيح جاء إلى مريم ، وهى جالسة تبكى عند جذعة ، فأراها مكان المسامير من جسده، وأخبرها أن روحه رفعت، وأن جسده صلب .

وهذا بهت وكذب، واختلاق وتحريف ، وتبديل ، وزيادة باطلة فى الإنجيل (١) على خلاف الحق ومقتضى الدليل .

وحكى الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن حبيب ـ فيما بلغه ـ أن مريم سألت من بيت الملك بعد ما صلب المصلوب بسبعة أيام ،

---

(١) من المعروف أن الإنجيل المذكور فى القرآن هـو ما نزل على عيسى ﷺ وهو إنجيل واحد يأمر الله فيه عيسى وينهاه : يا عيسى قل لهم كذا وانههم عن كذا ، وأحل لهم كذا وحرم عليهم كذا ... وما إلى ذلك كما نزل على بقية الرسل .

وهى تحسب أنه ابنها ، أن ينزل جسده ، فأجابهم إلى ذلك ، ودفن هنالك .

فقالت مريم لأم يحيى : ألا تذهبين بنا نزور قبر المسيح ؟ فذهبتا ، فلما دنتا من القبر ، قالت مريم لأم يحيى : ألا تستترين ؟

قالت : وممن أستتر ؟

فقالت : من هذا الرجل الذى هو عند القبر .

فقالت أم يحيى : إنى لا أرى أحدا !

فرجت مريم أن يكون جبريل ، وكانت قد بعد عهدها به ، فاستوقفت أم يحيى ، وذهبت نحو القبر .

فلما دنت من القبر، قال لها جبريل (وعرفته): يا مريم .. أين تريدين ؟

فقالت : أزور قبر المسيح ، فأسلم عليه وأحدث عهداً به .

فقال : يا مريم .. إن هذا ليس المسيح، إن الله قد رفع المسيح، وطهره من الذين كفروا . ولكن هذا الفتى الذى ألقى شبهه عليه وصلب وقتل مكانه ، وعلامة ذلك أن أهله قد فقدوه ، فلا يدرون ما فعل به ، فهم يبكون عليه ، فإذا كان يوم كذا وكذا ، فأت غيضة كذا وكذا فإنك تلقين المسيح .

قال : فرجعت إلى أختها ، وصعد جبريل، فأخبرتها عن جبريل وما قال لها من أمر الغيضة .

فلما كان ذلك اليوم : ذهبت فوجدت عيسى فى الغيضة ، فلما رآها أسرع إليها وأكب عليها ، فقبل رأسها ، وجعل يدعو لها كما كان يفعل ، وقال : يا أماه . . إن القوم لم يقتلونى ، ولكن الله رفعنى إليه ، وأذن لى فى لقائك ، والموت يأتيك قريبا ، فاصبرى واذكرى الله كثيرا .

ثم صعد عيسى .

فلم تلقه إلا تلك المرة حتى ماتت .

قال : وبلغنى أن مريم بقيت بعد عيسى خمس سنين ، وماتت ، ولها ثلاث وخمسون سنة . رضى الله عنها وأرضاها .

وقال الحسن البصرى : كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعا وثلاثين سنة .

وفى الحديث :

« إنّ أهل الجنة يدخلونها جُرداً مُرْداً مُكَحَّلين ، أبناء ثلاث وثلاثين »(١) .

وفى الحديث الآخر : « على ميلاد عيسى ، وحسن يوسف » .

وكذا قال حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال : رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

---

(١) رواه الترمذى ، وهو فى الصحيحين .

فأما الحديث الذى رواه الحاكم فى مستدركه ، ويعقوب بن سفيان الفسوى فى تاريخه ، عن سعيد بن أبى مريم ، عن نافع بن يزيد ، عن عمارة بن غُزية ، عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، عن أمه فاطمة بنت الحسين ، حدثته أن عائشة كانت تقول : أخبرتنى فاطمة أن رسول الله عليه وسلم أخبرها أنه لم يكن نبى كان بعده نبى إلا عاش الذى بعده نصف عمر الذى كان قبله ، وإنه أخبرنى أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة ، فلا أرانى إلا ذاهب على ستين رأس» . هذا لفظ الفسوى . فهو حديث غريب(١) .

قال الحافظ ابن عساكر : والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر ، وإنما أراد به مدة مقامه فى أمته ، كما روى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جَعْدَة ، قال : قالت فاطمة : « قال لى رسول الله ﷺ : « إن عيسى ابن مريم مكث فى بنى إسرائيل أربعين سنة » وهذا منقطع(٢) .

وقال جرير والثورى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم : مكث عيسى فى قومه أربعين عاما .

---

(١) الغريب هو : ما انفرد به راو واحد ، إما فى السند والمتن، وإما فى بعض المتن ، وهو قسمان : غريب مطلق ، وغريب نسبى .

(٢) هو ما سقط من رواته واحد قبل الصحابى فى الموضع الواحد ، أو ما لم يتصل إسناده بأى وجه كان .

ويروى عن أمير المؤمنين على ، أن عيسى عليه السلام رفع ليلة الثانى والعشرين من رمضان . وتلك الليلة فى مثلها توفى على بعد طعنه بخمسة أيام .

وقد روى الضحاك عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءته سحابة ، فدنت منه حتى جلس عليها ، وجاءته مريم فودعته وبكت ، ثم رفع وهى تنظر ، وألقى عمامته على « شمعون » وجعلت أمه تودعه بأصبعها تشير بها إليه حتى غاب عنها ، وكانت تحبه حبا شديدا ، لأنه توفر عليها حبه من جهتى الوالدين ، إذ لا أب له ، وكانت لا تفارقه سفراً ولا حضراً ، وكانت كما قال بعض الشعراء :

وكنت أرى كالموت من بين[1] ساعة
فكيف ببين كان موعده الحشر

وذكر إسحاق بن بشر ، عن مجاهد بن جبير ، أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل شبه لهم ، وهم يحسبونه المسيح ، وسلم لهم أكثر النصارى : بجهلهم ذلك ، تسلطوا على أصحابه بالقتل والضرب والحبس ، فبلغ أمرهم إلى صاحب الروم ، وهو ملك دمشق فى ذلك

---

(١) البين : الفراق .

الزمان ، فقيل له : إن اليهود قد تسلطوا على أصحاب رجل كان يذكر لهم أنه رسول الله ، وكان يحيى الموتى ويبرىء الأكمه ، والأبرص ويفعل العجائب ، فعدوا عليه فقتلوه وأهانوا أصحابه ، وحبسوهم. فبعث فجىء بهم ، وفيهم « يحيى بن زكريا » ، و« شمعون » وجماعة ، فسألهم عن أمر المسيح فأخبروه عنه ، فبايعهم فى دينهم ، وأعلى كلمتهم ، وظهر الحق على اليهود ، وعلت كلمة النصارى عليهم . وبعث إلى المصلوب فوضع عن جذعه ، وجىء بالجذع الذى صلب عليه ذلك الرجل ، فعظمه ، ثم فن عظّم النصارى الصليب ، ومن هنا دخل دين النصرانية فى الروم .

وفى هذا نظر من وجوه :

أحدها : أن يحيى بن زكريا نبى ، لا يقر على أن المصلوب عيسى ، فإنه معصوم ، يعلم ما وقع على جهة الحق .

الثانى : أن الروم لم يدخلوا فى دين المسيح إلا بعد ثلاثمائة سنة ، وذلك فى زمان « قسطنطين بن قسطن » بانى المدينة المنسوبة إليه ، على ما سنذكره .

الثالث : أن اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم ألقوه بخشبته ، جعلوا مكانه مُطَّرَحاً للقمامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات ، فلم يزل كذلك حتى كان فى زمان قسطنطين

المذكور ، فعمدت أمه هيلانه الحرّانية الفندقانية ، فاستخرجته من هنالك معتقدة أنه للمسيح ، ووجدوا الخشبة التى صلب عليها المصلوب ، فذكروا أنه ما مسها ذو عاهة إلا عوفى . . فالله أعلم أكان هذا أم لا ، وهل كان هذا ، لأن ذلك الرجل الذى بذل نفسه ، كان رجلا صالحا ، أو كان هذا محنة وفتنة لأمة النصارى فى ذلك اليوم، حتى عظموا تلك الخشبة ، وغشوها بالذهب واللآلىء ، ومن ثم اتخذوا الصلبانات ، وتبركوا بشكلها وقبلوها ، وأمرت أم الملك « هيلانه » فأزيلت تلك القمامه ، وبنى مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة ، فهى هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس ، التى يقال لهـا « القمامة »[1] باعتبار ما كان عندها ، ويسمونها « القيامة » يعنون التى يقوم جسد المسيح منها .

ثم أمرت هيلانة بأن توضع قمامة البلد وكناسته وقاذوراته على الصخرة ، التى هى قبلة اليهود ، فلم تزل كذلك حتى فتح عمر ابن الخطاب بيت المقدس ، فكنس عنها القمامة بردائه ، وطهرها من الأخباث والأنجاس ، ولم يضع المسجد وراءها ، ولكن أمامها حيث صلى ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء ، وهو المسجد الأقصى .

(١) وهى التى حرفوا اسمها إلى « كنيسة القيامة » أنظر تاريخ « الأنس الجليل » .

ذكر صفة عيسى عليه السلام

وشمائله ، وفضائله

قال الله تعالى :

﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صدِّيقة﴾[1] .

قيل سمي المسيح : لمسحه الأرض ، وهي سياحته فيها ، وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب اليهود له ، وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام . وقيل لأنه كان ممسوح القدمين .

وقال تعالى : ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل﴾[2] . وقال تعالى : ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس﴾[3] .

---

(1) المائدة : ٧٥ .	(2) الحديد : ٢٧ .

(3) البقرة : ٢٥٣ .

والآيات فى ذلك كثيرة جداً .

وقد تقدم ما ثبت فى الصحيحين : « ما من مولود إلا والشيطان يطعن فى خاصرته حين يولد ، فيستهل صارخا ، إلا مريم وابنها ، ذهب يطعن فطعن فى الحجاب » .

وتقدم حديث عمير بن هانىء ، عن جنادة ، عن عبادة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« من شهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته التى ألقاها إلى مريم ، وروح منه والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » .

رواه البخارى [وهذا لفظه] . ومسلم(١) .

وروى البخارى ومسلم ، من حديث الشعبى ، عن أبى بردة ابن أبى موسى ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) وفى رواية « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبده ورسوله وابن أمته ، وكلمته القاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق وأن النار حق ، وأن البعث حق : أدخله الله الجنة : على ما كان من عمل : من أى أبواب الجنة الثمانية شاء » وهو حديث متفق عليه ورواه الإمام أحمد .

« إذا أدب الرجل أمته ، فأحسن تاديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران .

وإذا آمن بعيسى ابن مريم ، ثم آمن بى ، فله أجران .

والعبد إذا اتقى ربه وأطاع مواليه ، فله أجران » [هذا لفظ البخارى][1] .

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن موسى ، أنبأنا هشام ، عن مَعْمَر ، وحدثنى محمود ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن الزهرى ، أخبرنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، قال : قال النبى ﷺ « ليلة أسرى بى لقيت موسى - قال : فنعته - فإذا رجل - حسبته قال : - مضطرب رجِلُ الرأس ، كأنه من رجال شَنُوءة . قال : ولقيت عيسى ، فنعته النبى ﷺ فقال : ربعة (٢) ، أحمر كأنما خرج من ديماس - يعنى الحمام - ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به . . » الحديث .

وقد تقدم فى قصتى إبراهيم وموسى .

ثم قال : حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا إسرائيل ، عن عثمان

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى ، والنسائى .

(٢) فى المختار : ربعة : أى مربوع الخلق : لا طويل ولا قصير .

ابن المغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : قال النبي ﷺ : « رأيت عيسى ، وموسى ، وإبراهيم .

فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر . وأما موسى فآدم(١) جسيم سبط(٢) كأنه من رجال الزط(٣) » .

تفرد به البخاري .

وحدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أبو ضمرة ، حدثنا موسى بن عقبة ، عن نافع ، قال : قال عبد الله بن عمر : ذكر النبي ﷺ يوما بين ظهراني الناس المسيح الدجال ، فقال : « إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية ، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام ، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال ، تضرب لمته بين منكبيه ، رَجِل الشعر يقطر رأسه ماء ، واضعا يديه على منكبي رجلين ، وهو يطوف بالبيت ، فقلت من هذا ؟ فقالوا : المسيح ابن مريم . ثم رأيت

---

(١) رجل آدم : أي أسمر .

(٢) رجل سبط الجسم : إذا كان حسن القد والاستواء ، ورجل سبط الشعر : إذا كان مسترسله .

(٣) الزط : جيل من الناس .

رجلا وراءه رجلا جعداً قططا[1] أعور عين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قطن ، واضعا يده على منكبي رجل يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : المسيح الدجال »[2] .

ورواه مسلم، من حديث موسى بن عقبة . ثم قال البخاري : تابعه عبد الله بن نافع ، ثم ساقه من طريق الزهري ، عن سالم بن عمر ، قال الزهري : « وابن قطن رجل من خزاعة ، هلك في الجاهلية » .

فبين صلوات الله وسلامه عليه ، صفة المسيحين : مسيح الهدى ، ومسيح الضلالة ، ليعرف هذا إذا نزل ، فيؤمن به المؤمنون ، ويعرف الآخر ، فيحذره الموحدون .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن همام بن مُنَبِّه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، قال : « رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق فقال له : أسرقتَ ؟ قال : كلا ، والذي لا إله

---

(١) رجل جعد الشعر : إذا كان في شعره التواء وتقبض ، والقطط بفتح القاف : الشديد الجعودة .

(٢) رواه البخاري ، ومسلم .

إلا هو . فقال عيسى : آمنت بالله ، وكذبت عيني » .

وكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق .

وقال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حميد الطويل ، عن الحسن وغيره ، عن أبي هريرة ، قال : ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال :

« رأى عيسى رجلا يسرق ، فقال : يا فلان ، أسرقت ؟ فقال : لا والله ما سرقت . فقال : آمنت بالله وكذبت بصري »[1] .

وهذا يدل على سجية طاهرة ، حيث قدّم حلف ذلك الرجل ، فظن أن أحدا لا يحلف بعظمة الله كاذبا ، على ما شاهده منه عيانا ، فقبل عذره ورجع على نفسه فقال : « آمنت بالله » أي صدقتك و« كذبت » بصري لأجل حلفك .

وقال البخاري : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) الحديث متفق عليه ، ورواه الإمام أحمد والنسائي ، وابن ماجه.

« تحشرون حفاة عراة غرلا ، ثم قرأ : ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا ، إنا كنا فاعلين ﴾[1] . فأول الخلق يكسى إبراهيم ، ثم يؤخذ برجال من أصحابى ذات اليمين وذات الشمال، فأقول : أصحابى[2] فيقال : إنهم لن يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم : ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم[3] . تفرد به دون مسلم من هذا الوجه ﴾[4] .

---

(١) الأنبياء : ١٠٤ .

(٢) فأما من أخذ به ذات اليمين ، فهم أصحابه ﷺ الذين عاشوا معه وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاد ، وأما من ذهب ذات الشمال فهم المنافقون الذين : أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر . ودليلنا فى ذلك : عن عبد الله بن أبىّ رأس النفاق لما قال ليخرجن الأعز منها الأذل – وأراد أحد الصحابة قتله ، نهاهم النبى ﷺ عن قتله : وقال : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » .

(٣) المائدة : ١١٧ – ١١٨ .

(٤) رواه البخارى .

وقال أيضا : حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى ، حدثنا سفيان ، سمعت الزهرى يقول : أخبرنى عبد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله »(1) .

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم ، حدثنا جرير بن حازم ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال :

« لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى ، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج يصلى إذ جاءته أمه فدعته فقال : أجيبها أو أصلى ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات . وكان جريج فى صومعة ، فعرضت له امرأة ، وكلمته ، فأبى ، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها ، فولدت غلاما ، فقيل لها : ممن ؟ قالت : من جريج ، فأتوه وكسروا صومعته ، فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ، ثم أتى الغلامَ ، فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال : فلان الراعى . قالوا : أنبنى صومعتك من ذهب ؟ قال : لا ، إلاّ من طين . »

---

(1) رواه البخارى فى الأنبياء ، وفى الأدب المفرد .

وكانت امرأة ترضع ابنا لها فى بنى إسرائيل ، فمر بها رجل راكب ذو شارة ، فقالت : اللهم اجعل ابنى مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب ، فقال : اللهم لا تجعلنى مثله . ثم أقبل على ثديها يمصه .

قال أبو هريرة : كأنى انظر إلى النبى ﷺ يمص أصبعه .

ثم مر بأمة ، فقالت : اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه . فترك ثديها فقال : اللهم اجعلنى مثلها . فقالت : لمَ ذلك ؟ فقال : الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة : يقولون سرقت وزنت ، ولم تفعل » .

وقال البخارى : حدثنا أبو اليمان ، حدثنا شعيب ، عن الزهرى ، أخبرنى أبو سلمة ، أن أبا هريرة ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولادَ علات(١) ليس بينى وبينه نبى » . تفرد به البخارى من هذا الوجه .

---

(١) أولاد العلات بفتح العين : أولاد الرجل من نسوة شتى ، واستعار النبى ﷺ هذا اللفظ ، لأن مصدر الأنبياء واحد ، وإن كانوا من أجناس شتى .

وقيل إنه مأخوذ من العلل — بفتح العين ، وهو الشرب بعد الشرب .

ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى داود الحفرى ، عن الثورى عن أبى الزناد ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة .

وقال أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان - هو الثورى - عن أبى الزناد عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام ، والأنبياء إخوة : أولاد عَلاَّت ، وليس بينى وبين عيسى نبى » .

وهذا إسناد صحيح على شرطهما ، ولم يخرجوه من هذا الوجه ، وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن همام ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ بنحوه ، وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق نحوه .

قال أحمد : حدثنا يحيى ، عن أبى عروبة ، حدثنا قتادة ، عن عبد الرحمن بن آدم ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « الأنبياء إخوة لِعَلاَّت ، دينهم واحد وأمهاتهم شتى ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، سبط ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، بين

مخصرتين[1] . فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية[2] ويعطل الملل، حتى تهلك فى زمانه كلها غير الإسلام ، ويُهلك الله فى زمانه المسيح الدجال الكذاب ، وتقع الأمنة فى الأرض ، حتى ترتع الإبل مع الأُسد جميعا ، والنمور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات ، لا يضر بعضهم بعضا . فيمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم يتوفى ، فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه »[3] .

ثم رواه أحمد ، عن عفان ، عن همام ، عن قتادة ، عن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة فذكر نحوه .

---

(١) فى المصباح المنير : والمخصرة ـ بكسر الميم ـ قضيب ، أو عنزة ـ بفتح العين والنون والزاى ـ يشير به الخطيب إذا خاطب الناس .

(٢) يعنى : لا يقبلها : إما الإسلام وإما السيف .

(٢) وقد ورد أنه يدفن بجوار رسول ﷺ ، روى الطبرانى عن عبد الله بن سلام قال: يدفن عيسى ابن مريم مع رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر .

وروى ابن الجوزى فى «المنتظم» عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له ، فيمكث خمساً وأربعين سنة ، ثم يموت ويدفن معى فى قبرى ، فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبى بكر وعمر » .

وقال : فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون .

ورواه أبو داود عن هُدْبَة بن خالد ، عن همام بن يحيى به : نحوه .

وروى هشام بن عروة ، عن صالح [مولى أبي هريرة] عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : فيمكث فى الأرض أربعين سنة » .

وقد بينا نزوله عليه السلام فى آخر الزمان ، فى كتاب « الملاحم » كما بسطنا ذلك أيضا فى التفسير عند قوله تعالى فى سورة النساء : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾[1] . وقوله : ﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾[2] الآية ، وأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق ، وقد أقيمت صلاة الصبح ، فيقول له إمام المسلمين : تقدم ياروح الله فصلِّ . فيقول : لا ، بعضكم على بعض أمراء ، مكرمة الله هذه الأمة » .

(١) النساء : ١٥٩ .

(٢) الزخرف : ٦١ .

وفى رواية فيقول له عيسى : « إنما أقيمت الصلاة لك » . فيصلى خلفه . ثم يركب ومعه المسلمون ، فى طلب المسيح الدجال ، فيلحقه عند « باب لدّ » فيقتله بيده الكريمة .

وذكرنا أنه قوى الرجاء حين بنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق ، التى هى من حجارة بيض ، وقد بنيت أيضا من أموال النصارى ، حين حرقوا التى هدمت ، وما حولها ، فينزل عليها عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، وأنه يخرج من فج الروحاء[1] حاجا أو معتمرا أو لثنيهما ، ويقيم أربعين سنة ، ثم يموت ، فيدفن فيما قيل فى الحجرة النبوية ، عند رسول الله ﷺ وصاحبيه[1] .

وقد ورد فى ذلك حديث ذكره ابن عساكر ، فى آخر ترجمة المسيح عليه السلام فى كتابه ، عن عائشة مرفوعا ، « أنه

---

(١) وروى الحاكم عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ليهبطن عيسى ابن مريم حكما وإماماً مقسطاً ، وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً ، وليأتين قبرى حتى يسلم علىّ ولأردن عليه » .

(٢) وروى الطبرانى بسنده إلى عبد الله بن سلام قال : « يدفن عيسى ابن مريم مع رسول ﷺ وأبى بكر وعمر » .

يدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فى الحجرة النبوية ، ولكن لا يصح إسناده .

وقال أبو عيسى الترمذي : حدثنا زيد بن أخزم الطائى ، حدثنا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة ، حدثنى أبو مودود المدنى ، حدثنا عثمان بن الضحاك ، عن محمد بن يوسف بن عبد الله ابن سلام ، عن أبيه عن جده ، قال : مكتوب فى التوراة : صفة محمد ، وعيسى ابن مريم عليهم السلام يدفن معه .

قال أبو مودود : وقد بقى من البيت موضع قبر .

ثم قال الترمذي : هذا « حديث غريب » ، [وفى بعض النسخ : « حسن غريب][1] كذا ، قال الصواب : الضحاك بن عثمان المدنى .

وقال البخارى : هذا الحديث لا يصح عندى ، ولا يتابع عليه .

وروى البخارى عن يحيى بن حماد ، عن أبى عوانة ، عن

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من المطبوعة ، وقد أثبتناه من « وفاء الوفاء » ص ٨٥٥ وما بعدها ، فإنه أورده هناك بنصه رحمه الله .

عاصم الأحول ، عن أبى عثمان النهدى ، عن سلمان ، قال : « الفترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة .

وعن قتادة : خمسمائة وستون سنة . وقيل خمسمائة وأربعون سنة . وعن الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة . والمشهور ستمائة سنة . ومنهم من يقول : ستمائة وعشرون سنة بالقمرية ، لتكون ستمائة بالشمسية . . والله أعلم[1] .

وقال ابن حبان فى صحيحه : « ذكر المدة التى بقيت فيها أمة عيسى على هديه » : حدثنا أبو يعلى ، حدثنا أبو همام ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الهيثم بن حميد ، عن الوضين بن عطاء ، عن نصر بن علقمة ، عن جبير بن نفير ، عن أبى الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد قبض الله داوود من بين أصحابه ، فما فتنوا وما بدلوا ، ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه مائتى سنة » .

وهذا حديث غريب جدا وإن صححه ابن حبان .

وذكر ابن جرير عن محمد بن إسحاق ، أن عيسى عليه السلام قبل أن يُرفع وَصى الحواريين ، بأن يدعوا الناس إلى عبادة

(١) هذا قول معمر .

الله وحده لا شريك له ، وعين كل واحد منهم إلى طائفة من الناس فى إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب ، فذكروا أنه أصبح كل إنسان منهم ، يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم .

وذكر غير واحد أن الإنجيل نقله عنه أربعة : لوقا ، ومتى ، ومرقس ، ويوحنا ، وبين هذه الأناجيل الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة ونسخة ، وزيادات كثيرة ، ونقص بالنسبة إلى الأخرى ، وهؤلاء الأربعة اثنان ممن أدرك المسيح ورآه ، وهما : متى ويوحنا ، ومنهم إثنان من أصحابه ، وهما مرقس ولوقا(*) .

(*) أشار محقق المطبوعة إلى أنه قد سقط من نسخة «البداية والنهاية» المأخوذ عنها هذا الكتاب - والمصورة عن مكتبة ولى الدين بالاستانة ، والمحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١١١٠ - من هذه العلامة حتى نهاية الكتاب ، وقد ورد بهذه النسخة زيادة نصها :

وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القرافى فى كتابه «الرد على النصارى» لبعضهم يرد عليهم فى قولهم بصلب المسيح وتسليمهم ذلك لليهود ، مع دعواهم أنه ابن الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً .

عجبا للمسيح بين النصارى   وإلى الله ولداً نسبوه =

وكان ممن آمن بالمسيح وصدقه من أهل دمشق، رجل يقال له « ضينا » ، وكان مختفيا فى مغارة داخل الباب الشرقى ، قريبا من « الكنيسة المصلبة » خوفا من بولس اليهودى ، وكان ظالماً غاشماً ، مبغضاً للمسيح ، ولما جاء به ، وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح ، وطاف به فى البلد ، ثم رجمه حتى مات رحمه الله .

ولما سمع « بولص » أن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق ، جهز بغاله وخرج ليقتله ، فتلقاه عند « كوكبا » ، فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه ، فلما رأى ذلك ، وقع فى نفسه تصديق المسيح ، فجاء إليه واعتذر مما صنع ، وآمن به ، فقبل منه ، وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره ، فقال : اذهب إلى « ضينا » عندك بدمشق فى طرف السوق المستطيل من المشرق ، فهو يدعو لك،

= أسلموه إلى اليهود وقالوا إنهم بعد قتله صلبوه
فإن كان ما تقولون حقاً وصحيحاً ، فأين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الأعادى أتراهم أرضوه أم أغضبوه
فلئن كان راضياً بأذاهم فاعذروهم ، لأنهم وافقوه
ولئن كان ساخطاً فاتركوه واعبدوهم لأنهم غلبوه

فجاء إليه فدعا ، فرد عليه بصره ، وحسن إيمان « بولص » بالمسيح عليه السلام أنه عبد الله ورسوله ، وبنيت له كنيسة باسمه فهى كنيسة « بولص » المشهورة بدمشق ، من زمن فتحها الصحابة رضى الله عنهم حتى خربت(١) .

---

(١) اقرأ كتاب الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى « محاضرات فى النصرانية » وله رأى مخالف فى بولس بأنه هو الذى بدل دين المسيح .

فصل

اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء فيه على أقوال، كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف، كما أوردناه عنـــد قوله : ﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾[1] .

قال ابن عباس وغيره : قال قائلون منهم : كان فينا عبد الله ورسوله ، فرفع إلى السماء .

وقال آخرون : هو الله .

وقال آخرون : هو ابن الله .

فالأول هو الحق ، والقولان الآخران كفر عظيم ، كما قال: ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾[2] .

وقد اختلفوا فى نقل الأناجيل على أربعة أقاويل ، ما بين زيادة ونقصان ، وتحريف وتبديل .

---

(١) الصف : ١٤ . (٢) مريم ٣٧ .

ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة ، حدثت فيه الطامة العظمى ، والبلية الكبرى اختلف البطاركة الأربعة ، وجميع الأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين فى المسيح ، على أقوال متعددة لا تنحصر ولا تنضبط ، واجتمعوا ، وتحاكموا إلى الملك « قسطنطين » بانى « القسطنطينية » ، وهم « المجمع الأول » فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات ، فسُموا « الملكية » ، ودحض من عداهم وأبعدهم ، وتفردت الفرقة التابعة « لعبد الله بن آريوس » الذى ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ، ورسول من رسله[1] ، فسكنوا البرارى والبوادى ، وبنوا الصوامع والديّارات والقلايات ، وقنعوا بالعيش الزهيد ، ولم يخالطوا أولئك الملل والنحل ، وبنت الملكية الكنائس الهائلة ، عمدوا إلى ما كان من بناء اليونان فحولوا محاربها إلى الشرق ، وقد كانت إلى الشمال ، إلى « الجدى » .

* * *

(١) وهؤلاء هم المسلمون .

بيان بناء بيت لحم والقمامة

وبنى الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح، وبنت أمه هيلانة « القمامة » يعنى على قبر المصلوب ، وهم يسلمون لليهود أنه المسيح .

وقد كفرت هؤلاء وهؤلاء، ووضعوا القوانين والأحكام ومنها مخالف للعتيقة ، التي هي التوراة . وأحلوا أشياء هي حرام بنص التوراة . ومن ذلك الخنزير . وصلوا إلى الشرق ، ولم يكن المسيح صلى إلا إلى صخرة بيت المقدس ، وكذلك جميع الأنبياء بعد موسى ، ومحمد خاتم النبيين صلى إليها بعد هجرته إلى المدينة ستة عشر — أو سبعة عشر — شهراً ، ثم حول إلى الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل .

وصوروا الكنائس، ولم تكن مصورة قبل ذلك، ووضعوا العقيدة التي يحفظها أطفالهم ونساؤهم ورجالهم ؛ التي يسمونها بالأمانة ، وهي في الحقيقة أكبر الكفر والخيانة .

وجميع الملكية ، والنسطورية ، أصحاب نسطورس ، أهل

المجمع الثانى ، واليعقوبية أصحاب يعقوب البراذعى ، أصحاب المجمع الثالث ، يعتقدون هذه العقيدة ، ويختلفون فى تفسيرها .

وها أناذا أحكيها ـ وحاكى الكفر ليس بكافر ـ على ما فيها من ركة الألفاظ ، وكثرة الكفر والخبال ، المفضى بصاحبه إلى النار ذات الشواظ . فيقولون :

« نؤمن بإله واحد ضابط الكل ، خالق السموات والأرض ، كل ما يُرى وكل ما لا يُرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر الذى كان به كل شىء ، من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، ومن مريم العذراء ، وتأنس ، وصلب على عهد « ملاطس » النبطى ، وتألم ، وقبر ، وقام فى اليوم الثالث كما فى الكتب ، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الآب .

وأيضا فسيأتى بجســـده ليدبر الأحياء والأموات ، الذى لا فناء لملكه ، وروح القدس : الرب المحيى ، المنبثق من الآب مع الآب والإبن مسجود له ، وبمجد الناطق فى الأنبيـاء

كنيسة واحدة جامعة مقدسة يهولية ، وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، وأنه حي قيامة الموتى ، وحياة الدهر العتيد كونه . . آمين » .

* * *

[إلى هنا تنتهي سيرة عيسى ابن مريم عليه السلام للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير]

فهرست الكتاب

رقم الإيداع ٨٥/٧٣٨٣

الترقيم الدولى ٩ - ٠٢٩ - ٤٧٢ - ٩٧٧

جمادى الآخرة ١٤٠٦ م

الثمن قرش جنية

الطبعة الأولى

فبراير ١٩٨٦ م